الشَخصَية

بين نجاح وفشل

الذكاء والتفوق

في النفس والمجتمع

عَباس مهدي

الشخصية

بين النجاح والفشل

الذكاء والتفوق

في النفس والمجتمع

عباس مهدي

الانسان ضعيف. وغير مزود بالوسائل الدفاعية... وكان عليه ان يقاوم الوحوش للحصول على لقمة العيش..
وقد تغلب فعلاً.. لا بقوته العضلية وانما بذكائه الفكري...
وانقادت الوحوش.. لكن الصراع مازال قائماً بين الانسان، واخيه الانسان..

1
رقم الايداع بدار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٤٢) لسنة ١٩٨٩

رقم موافقة وزارة الثقافة والاعلام (١٩) في ١٩٨٧/١/٥

الطبعة الاولى ـ بغداد ـ ١٩٨٧ .

الاشراف الفني : سامر المطلبي

.نضد الكتاب الكترونيا (بالليزر)في مطابع الدار العربية / ١٩٨٧

طبع في مطابع دار الثورة للصحافة و النشر

شكر وتقدير

من يستحق الشكر والتكريم حقا ، هم أولئك الذين يسميهم التعبير الشائع ب(العاملين وراء الكواليس)...الذين لاتتسلط عليهم الاضواء الا في المناسبات الخاصة...فالى هؤلاء الفنيين في مطابع دار الثورة للصحافة والنشر - الذين لولاهم لما خرج هذا الكتاب الى النور بشكله المتقن - اليهم جميعا كل الاعجاب والتقدير...

المؤلف

بينك وبيني

بينك وبيني

انه موضوع قديم جداً .. وحديث جداً ..

تطرق اليه العرب في حضاراتهم الأولى، فانعكس على شعرهم وحكمتهم ، وبرز في أفكارهم وفلسفتهم .. لهذا يجد القارىء ان الاشارة الى المصادر العربية كثيرة ، وضرب الأمثلة من الموروث الشعبي قد تكرر وتنوع ..

وعالجه الباحثون في عصرنا هذا ، فادخلوه المختبرات الكيمياوية والفيزياوية والنفسية .. واخضعوه الى الحسابات والمقاييس ، كما استعانوا في دراساتهم بانواع الاجهزة و (الكمبيوترات) الحديثة ..

لهذا يرى القارىء كثرة المصادر الاجنبية التي استند اليها الكتاب ..

الأسلوب

هذا البحث من سلسلة مواضيع «الشخصية»، ولم يتغير في اسلوبه عن الكتب الاربعة التي سبقته.. يأخذ الفكرة التي تم التوصل اليها حديثاً، فيحاول اعطاء الامثلة لها من مجتمعنا، ليكون الموضوع أكثر مساساً بواقعنا.. وبالتالي أكثر نفعاً لنا..

بقيت ملاحظة لابد من ذكرها هنا .. حينما يتطرق الكتاب الى الحديث عن فرد من الناس ، فالمقصود هو الرجل او المرأة على حد سواء .. فكاف المخاطب في عنوان هذه الفقرات (بينك وبيني) يمكن أن نقرأها بالفتح فنعني الرجل ، او بالكسر فنعني المرأة .. كما أرجو من صميم القلب ان لاتنزعج القارئة اذا خاطبتها باسم (القارئ) ومن الطبيعي ، ايضاً أن تكون كلمة (انسان) تعني الجنسين..

استغرقت متابعة موضوع هذا الكتاب خمسة اعوام ..

الفصل الاول

سبب الاهتمام بالموضوع

الغزو الثقافي

استغلال المتخلفين

الحكمة الرياضية

خطورة الجاهل على المجتمع

الجاهل الضار المتضرر

سبب الاهتمام بالموضوع

مر زمن كان الدارس في جامعات الولايات المتحدة الاميركية يجد الكتب المقررة تبدأ في مقدماتها بذكر فضل العرب على هذا الموضوع او ذاك .. من امثلة ذلك : « ... ان العرب هم الذين أوجدوا علم الجبر ، قبل ألف وكذا سنة ، واطلقوا عليه هذا الاسم : Algebra» .. وعبارات كهذه ، او قريبة الشبه بها ، تتصدر كتب الفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها ..

تلك كانت أيام ظهور الاستاذ المعروف «جون ديوي» .. وأيامه ، بالنسبة للفكر الامريكي ، تمثل العصر الذهبي .. اذ أن هذا المفكر يعتبر : «... فيلسوف أمريكا بلامنازع ، والناطق بلسان مذهبها الفكري في النصف الاول من القرن العشرين ...

«ولما توفي (سنة ١٩٥٣) لم تجد من يحل محله ، ويشغل مكانه ، ولم يظهر بعده الفيلسوف البارز الذي يمكن ان يقال : انه الناطق اليوم بلسان الفلسفة الامريكية ..» ...[١]

وكان هناك موجات من الغزو بمختلف ألوانه واهدافه .. وكان التنافس على ثروات العالم الزراعية والمعدنية والنفطية .. ومن ألوان ذلك الغزو مايسمى بـ «الغزو الحضاري» ، وكان هذا يتم عن طريق نهب الآثار الحضارية والاحتفاظ بها خارج البلد المنهوب ... يصاحب ذلك محاولة ترسيخ جذور الحضارة الأوربية ، بالتأكيد على حضارة اليونان (والرومان) .. ثم ادخال معالم الحضارة الغربية ونشرها ..[٢]

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهواني/ أنظر: (تراث الانسانية) مجلد (١) ص ١٧٧

(٢) قارن مع ماكتبه المؤلفان في مقدمة الكتاب الجامعي التالي الذي صدر سنة ١٩٧٩ Rubin & McNeil
(Psychology of Being Human) N.Y.

في أثر مطالبة العراق باسترجاع آثار الحضارة البابلية ، كتبت صحيفة «الهيرالد تربيون» الامريكية . جنب صورة كبيرة للمسلة الرخامية التي نقشت عليها «شريعة حمورابي» ، موضوعاً بعنوان .. «العالم الثالث يبحث عن جذوره في الغرب» .. والمقالة يطغى عليها الطعن بملكية هذا الاثر ، والتحريض على عدم ارجاعه الى اصحابه ، وحق ايران بالمطالبة به .. وأن متحف(اللوفر)كان قد حصل عليه من بلدة في ايران اسمها (سوسة) ..[٣] .

الغزو الثقافي

يرى أحد رجال الصحافة ان ذلك الغزو قد امتد الى صفحات التاريخ فشوهها — ولاشك في ان الهدف هو زعزعة الجذور — حيث كتب :

« ...ومن نتائج الغزو الثقافي الذي استهدف شعبنا ، نجد عشرات من الروايات والامثلة والحوادث الموضوعة .. وكلها تسير الى نقطة واحدة .. حيث تسم شعبنا الكريم بسمات الضعف والتردد والتقلب ..

وحين نتأمل الان تلك الروايات والامثلة والحوادث الموضوعة ، نعرف أن وراءها كل الذين يريدون السيطرة على بلادنا .... ولكي تسيطر على بلد ما ، لابد لك اولاً من اضعاف ثقة الشعب بنفسه ...»[٤]

وقد تزعزعت الجذور ، أوكادت .. فظهر بين المثقفين من يؤمنون بسلامة نية هذا الغزو ، ونظافة قلوب هؤلاء الغزاة المتحضرين ...

فصدقت المعادلة التي طرحها عالم الاجتماع «ابن خلدون» والتي تقول مامعناه : ان الشعوب المغلوبة تنظر الى الفاتحين نظرة التقدير والاحترام وتنسب اليهم صفات

---

(3) International Herald Tribune) London- 8 April, 1980

(٤) جريدة (الثورة) البغدادية، عدد ١٩٨٣/٨/٣ ، عمود (آخر الكلام) الذي يحرره يوميا الشاعر المعروف (حميد سعيد).... والواقع ان عمود (آخر الكلام) كان من اقوى المحفزات لوضع هذا الكتاب ..

الكمال ، والا كيف تسنّى لهم ان يكونوا غالبين ..؟! [٥]

يأتي الصحافي «ح» فيكشف هذا للمثقفين والواعين في قوله :
« ... ولعل الأدهى من ذلك ، أن بعض كبار أساتذة الجيل الماضي كان يعتقد أن الحقيقة موجودة فيما يقوله أو يكتبه الغربيون فقط .. وأن مناهجهم في البحث هي الوحيدة بين مناهج الدنيا التي يمكن الركون اليها للتوصل الى انجازات علمية جيدة .. »

وأن «الموضوعية» التي بهرت عقول اولئك الاساتذة بمظهر الحياد العلمي :
« .. ماهي إلا سلاح بيد الستراتيجيات الكبرى التي توظف كل شيء من أجل تخريب البناء الوطني والتاريخي والنفسي لهذه المنطقة ، ليسهل اختراقها والسيطرة عليها وعلى خيراتها ..

ان مئات من مراكز البحوث ، والافاً من الباحثين مهمتهم تعميق خطوط التخريب الحضاري في وطننا .. » [٦]

ويرى (المصمودي) ان الاعلام الغربي موجه ضد الشعوب النامية ، ذلك لانه يزعم ان «المسلمين محكوم عليهم بالبلاهة والتخلف الفكري ، والسود مازالوا في مرحلة بدائية من مراحل التطور ، والعرب مخلوقات دنيا تكاد لاترقى عن الحيوان الا قليلاً .. » [*]

---

(٥) ان نص ماقاله العالم العربي هو الاتي:
«ان النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها ، وانقادت اليه.. أما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، انما هو لكمال الغالب...»
عبد الرحمن بن خلدون(مقدمة إبن خلدون) ص ١٤٧

(٦) حميد سعيد (نفس المصدر) عدد ١٩٨٣/٣/١٤

(*) د. مصطفى المصمودي (النظام الاعلامي الجديد)- سلسلة عالم المعرفة ، الكويت- اكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٥، ص ٨

كانت هناك مناقشة حادة بين بعض المثقفين .. فمنهم الذين ينصفون الاقطار المتقدمة . ويعزون تقدمها الى الذكاء السائد فيها .. كما يعزون التخلف ، في الاقطار التي تحاول التقدم والنمو ، الى قلة الذكاء .. فانبرى أحدهم بحماسة «اعتبروني حاقداً ، وصفوني بما شئتم ، ولكني أعتقد أن التقدم في الاقطار المرفهة ، لم يكن الا على حساب البلدان المتخلفة ..

وثروة الاغنياء لم تتجمع الا من جيوب الفقراء .. كما يحدث على موائد القمار .. لايربح واحد الا حين يخسر الآخرون ..»

هل الذكاء يعني الاحتيال والمكر وسلب حقوق الآخرين؟ وهل سلامة النية وحب الخير للناس جميعاً ، والايمان بالسلام ؛ كلها تعني الجهل والغباء والتخلف ؟ ..

لقد أصبح الذكاء سلاحاً ، الى جانب السلاح الاقتصادي ، تشهره الأمم المتقدمة في وجه الشعوب الاصغر والاقل نمواً .. حتى ان كلمة (الذكاء)[٧] صارت تستخدم بمعنى : الجاسوسية ..[٨]

وحسبما يرى الدبلوماسي (هيكنز) : انها قضية كفاح وتنافس من أجل الأفضلية والبقاء ..

.. وفي دراسة عن التغيرات المقبلة والكفاح التنافسي من اجل المصالح والوجود ، يتوقع الاقتصادي (هيلبرونر) ان الحصول على البقاء الجماعي في القرن القادم سيكون على حساب الحرية .. سيكون هناك جهد جماعي ؛ ولكن لن تكون هناك مشاركة دولية في المتاعب وفي الغنى[٩] .

---

(7) Intelligence

٨) الاستخبارات المركزية: Centarl Intelligence
وكالة الاستخبارات: Intelligence Agency
الاستخبارات النفطية: Petroeum Intelligence
جاسوس: Intelligencer
cf: (A Dictionary of Diplomacy .& International Affairs), 1975

(9) Higgins (The Seventh Enemy) P. 59... (Quoting Heilbroner)

كما ان مشاعر النقص والعقد النفسية قد تدفع صاحبها الى مجالات العبقرية والابداع ، أو تجعله يتوجه نحو التعويض المناسب للظروف .. ولكن ، من جهة أخرى ، قد تدفع هذه المشاعر والعقد بصاحبها الى الخيبة والفشل .. ومتى تنكشف وتصبح واضحة ، يستغلها الاعتدائيون المتسلطون في سبيل الايقاع بالمعقد واستخدامه من اجل مصالحهم الخاصة(١٠)

هذا مايجعل المستعمر يدرس حياة أبناء الشعوب التي يستعمرها عن طريق مايسمى بـ (الاستشراق) مثلاً ، لمعرفة علومهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ..
دخل أحد مواطني البلدان المتخلفة الى أضخم مكتبة في قطر استعماري فوجد فيها جميع انواع الكتب التي صدرت في بلده ، حتى كتب الاغاني الشعبية . ولما استفسر عن ذلك قيل له : ان تلك المكتبة تحصل على جميع مايصدر في أنحاء العالم من كتب كيفما كان حجمها ومهما كانت لغتها ..

ان المستعمرين (او المستغلين) حين يتحركون نحو البلد الذي يستغلونه باذاعة خبر ، فانهم اولاً : يدرسون تلك الكتب ليطلعوا على ماتكشف لهم من ميول عامة وخلق وطباع شائعة في ذلك البلد ليستنبطوا منها مواطن الضعف ومواضع الحساسية والاثارة ، التي يمكن ان ينفذوا منها الى مشاعر البلد وعقده النفسية السائدة .. وبذلك يستطيعون ان يختاروا الألفاظ التي تثير مشاعر النقص او تهيج العقد ..
ان اختيار ألفاظ الأخبار والاشاعات يعتمد على مثل تلك الدراسة النفسية للمجتمع .. غير أن الشعب الواعي او (الذكي) لايتأثر بتلك الأخبار والاشاعات مثلما يتأثر الشعب الجاهل .. كما ان السحر والشعوذة لاسلطان لهما على من لايؤمن بهما .. والجاهل يؤمن بهما لأنه لا يعلم ان القضية تستند على الشعوذة والاستغفال والضحك على الذقون .

---

(١٠) أنظر للمؤلف (العقدة النفسية.. والشعور بالنقص) بغداد- ١٩٧٨ هنا وهناك.

وبهذا الاسلوب يضع أصحاب الشركات العالمية كلمات اعلاناتهم واللافتات .. مثلاً ، يستغلون قضية نفسية بشرية (حب الانسان لنفسه وللجمال والشهرة) مستنبطين ذلك من العبارات الشعبية (القلب يعشق كل جميل) و (ان الله جميل يحب الجمال) .. فيربطون اسم بضاعتهم باسم جميل مشهور : كالممثلة الجميلة ، او المغنية المحبوبة ، او الرياضي المشهور .. فيوحون للناظر او السامع بان هذا «الرباط» مثلا تلبسه الطبقة الراقية او الناس ذوو الشهرة .. وكأنهم يقولون للفرد : هل تريد ان تصبح جميلاً او محبوباً او ذائع الصيت ؟ انت لست مثل هؤلاء .. ينقصك «رباط» من هذا النوع ..

كان المستعمرون – ومازالوا في بعض بلدان العالم الثالث – يحاولون عرقلة سير التقدم ، ويوقفون الرغبة في الصناعة او الزراعة او استغلال موارد البلد ، بربط الصناعة والزراعة بما يثير مشاعر النقص .. ففلان : من طبقة مزارعي الخضرة «او الطماطة» .. وهذا : مجرد «بقال» .. وذلك لاتتزوجه اية امرأة لأنه : «حائك» يروي «الوردي» ان المهنة انما سميت بهذا الاسم اشتقاقاً من المهانة ...[11]

فماذا يبتغي المستحوذون من الشعوب الفقيرة والنامية .. ؟ هل يريدونها ان تظل فقيرة و (لا – نامية) . ؟

الحكمة الرياضية

في احدى مباريات كرة القدم ، التي جرت في بلد أجنبي ، كان الفريق العراقي يواجه عنصرية شديدة من قبل الجمهور ، واعتداءات مفضوحة من قبل الفريق الخصم .. خصوصاً بعد تسجيل الخصم هدف التعادل ..

فلما ازداد نشاط الفريق العراقي ، رغم كل ذلك ، وسابق الزمن الذي اوشك على نهايته ، وسجل هدف الفوز ؛ صرخ المعلق الرياضي المعروف «مؤيد البدري» حتى بح صوته واختنق قائلاً : « .. هذه هي الجدارة .. تسجيل الاهداف هو الذي يخرس المهرجين .. ويوقفهم عند حدهم ....»

---

(١١) د. علي الوردي (الاحلام.. بين العلم والعقيدة) هنا وهناك.

حكمة رياضية يلزم ان يتمثل بها كل فرد في مجال عمله .. **فمن يريد أن** [redacted] صفة التخلف (والجهل) ؛ عليه ان يتقن ذلك العمل .. ولايغض النظر حتى عن الامور الصغيرة فيه ..

كان «عمران» مساعد مصلح سيارات (أو : «صانع فيتر» ، كما يقول التعبير الشعبي) .. ثم وفقه الله ففتح محلاً خاصاً .. وفي يوم ، «فك» محرك احدى السيارات لاجراء التصليح الشامل (التجفيت) ... وبعد ان انهى العمل ووضع كل جزء في مكانه ، طلب الى صاحب السيارة ان يشغلها .. فأشتغلت والحمد لله .. ولكن صاحبها إحتج سائلاً : «لكن ، يا اسطة ، ماهذه القطع والمسامير و (البراغي) الباقية ؟!» .. فرد عليه «عمران» حالاً : «ان اصحاب المصانع في الخارج مجانين .. هذه القطع كلها زائدة ..»

صحيح ان شد أجزاء الآلة من أربعة مواضع بدل ستة يجعل الآلة تتحرك وتشتغل ايضاً ؛ ولكن الصانعين لم يضعوا ستة مسامير (او براغي) عبثاً وبدون جدوى ..

قد تطيب العودة هنا الى الحكمة الرياضية ، فنقول لهذا العامل الناشىء : «ان تحقيق الاهداف (أو اتقان العمل) هو الذي يخرس المهرجين (والمغرضين ، والمستحوذين ، والذين يصطادون في الماء العكر) ..»

نفرض أن بضاعة محلية (مصابيح كهربائية مثلاً) تواجه عدم الانتشار في السوق ، ويفضل المستهلك شراء نفس البضاعة من انتاج اجنبي ، وان كانت هذه أغلى ثمناً ..

ربما يتبادر للذهن لأول وهلة : ان السبب ناتج عن حرب نفسية تشنها جهات معادية .. وهو تفسير لابأس به ، ولكنه يجب ان يأتي بعد دراسة جميع مسببات البضاعة الرديئة .. فاذا اتضح عدم وجود هذه المسببات ، وان البضاعة جيدة وتضاهي الاجنبية بالجودة .. وليس فيها من عيب أو خلل .. اذ ذاك تأتي مرحلة النظر في الاسباب النفسية ..

يظهر ان الحرب النفسية لاتحقق أهدافها الا مع الجاهل الذي تنقصه الخبرة ويعوزه الاتقان .. وهي شبيهة بما يحدث في المباريات الرياضية .. فالانتاج المتقن : يخرس المتقولين ويحطم كل الاسلحة النفسية .. وان نور المعرفة يبدد ظلمة الجهل ، كما يقولون ..

خطورة الجاهل على المجتمع

اذا اتفقنا على أن معنى «الجاهل» هو : قليل الثقافة والاطلاع .. والثقافة والاطلاع من الامور التي تقوم مقام الزيت (أو الدهن) بالنسبة للماكنة البشرية .. فان الحواس تتحرك بصورة أسهل واسرع اذا كانت مشبعة بالزيت (مشحمة) .. ولهذا نصف المثقف والمطلع بانه : سريع البديهة .. وتخطر على باله أمور كثيرة ، فيوازن بينها ويختار الأصلح والافضل ، وخلال القليل من الوقت .. ونقول أيضاً انه واسع الأفق في تفكيره ؛ ونقول عن الجاهل : ان تفكيره ضيق ..

ان هذا الجاهل ، بناء على أفق تفكيره الضيق ، ليس باستطاعته أن يعطي الرأي الصحيح ، أو يميز بين الشيء المهم ؛ والشيء الاهم .. فتراه يهمل هذا العمل او ذاك فيتركه الى الغد ، لأنه لايرى القضية من جميع جوانبها ولايرى الا من خلال «أفقه الضيق» ..

في «الفترة المظلمة» التي مرت ببلادنا وبادت ، أيام كانت الأمية سائدة ، وكان الفرد اذا ما استلم مرة رسالة مخطوطة راح يبحث في المحلة عن شخص «ملة» يعرف القراءة .. كانت حكومة ذلك الزمان قد سمحت لأحد الخبراء بالاطلاع على سير الحياة والوضع الأجتماعي في القطر .. ولما سئل بعد ذلك عما حصله من جولاته التفتيشية ، أجاب : اني تعلمت كلمة تستعمل يومياً في مجال الاعمال أكثر من اية كلمة اخرى .. انها كلمة : باكر (ويلفظونها بالعامية باچر) وتعني «غداً» .. كل واحد يؤجل كل شيء الى الغد .. ولا أحد يقول : سأقوم بالعمل هذا اليوم ..

الجاهل بنظرته الضيقة قد يرى كل الامور التي لاتمسه شخصيا ، وبصورة مباشرة ، هي أمور يمكن إرجاؤها الى غد .. أما لماذا يهتم بمصلحته الخاصة ويحاول ان يقدمها على غيرها ، فذلك لأن معرفته محصورة في نطاق مايدور حوله مباشرة .. ومصلحته هي أقرب الامور اليه ، وهو أكثر اطلاعاً بها نسبياً ..

لهذا قيل ان الانسان كلما ازدادت ثقافته ، ازداد اهتمامه بالآخرين حتى يشمل كل المجتمع .. وقل اهتمامه بنفسه حتى يصل الى نكران الذات والتضحية بمصالحه الشخصية ..

ولكن المجتمع حين يخسر جاهلاً ، لاتنحصر خسارته بهذا الفرد الذي ماعاد نافعاً للمجتمع .. وانما تكون الخسارة افدح واعظم حينما يتقلد ذلك الجاهل بعض المهام التي تمس المصلحة العامة .. انه بافقه الضيق لايفهم اهمية عمله أو مدى خطورته لذا فهو يتصرف ببطء (وعلى مهله) ويؤدي عمله ولسان حاله يقول : العجلة من الشيطان .. واذا تأخر هذا الأمر الى غد ..! ثم ماذا؟ .. هل ستنقلب الدنيا؟

هذا الجاهل بتأخيره الاعمال يعرقل الانتاج .. وبعدم تمييزه بين المهم وغير المهم ، قد لايتحزك لمواجهة المواقف الحرجة في الوقت اللازم ، وقد يهيء الفرصة للمخربين .. لنفرض على سبيل المثال ان أحد الموظفين كان جاهلاً ولديه نفس الافق التفكيري الضيق – بسبب الثقافة العلمية الناقصة ، او التربية الاجتماعية غير الموجهة – ولنفرض كذلك انه اعطي صلاحية التوقيع بعد اجراء الفحص اللازم او الاشراف على مشروع وطني معين .. لنفرض ان المتعهد بانجاز المشروع (أو المقاول) أراد ان يحصل على تساهل هذا الموظف المشرف كي لا يكون دقيقاً جداً عند اجراء الفحص .. نفرض ايضاً ان هذا المقاول يحاول ان يرشو الموظف فيدعوة الى وليمة أكل وشرب قد تكلف عشرات الدنانير وتصل المئات .. وان الموظف ، لنقص في تربيته ونضجه ، لايرى في الوليمة اي عيب .. بل يعتبرها تقديراً لشخصيته المحبوبة ولمكانته المحترمة .. وهو بعد هذه الوليمة يرى من الاصول التي تليق بمكانته ان يتساهل عند الاشراف ، او فحص المشروع ، فيغض النظر عن النواقص التي أغفلها المقاول او تغافل عنها ..

ربما هذه النواقص يكلف اكمالها آلاف الدنانير .. فهل هذا الموظف بهذه الدرجة من الغفلة والجهل بحيث لايعرف انه اكل وجبة طعام بألف دينار او اكثر ..؟ وهي لاتساوي عشر معشار هذا المبلغ ..؟ .. كلا .. انه لايدرك ذلك .. لان ضيق تفكيره يبدي له بوضوح انه فاز بوليمة دسمة ، ولم يخسر شيئاً مقابل ذلك .. بل المقاول هو الذي خرجت النقود من جيبه .. أما المشروع الوطني الذي حصل المقاول من نواقصه آلاف الدنانير فهو لن يتضعضع ، والحكومة لن تحس بضرر .. ولن يخرج من جيب الموظف شيء ..

يقول هذا الموظف لنفسه انه ذكي .. يلعب على مئة حبل .. فمن يستطيع ان يكشف شيئاً ؟ .. من سيعرف ، بعد انتهاء المشروع (او العمارة) ، ان كانت نسبة السمنت الى الرمل : (واحد – الى – ثلاثة) أم (واحد – الى – خمسة) ؟ ...مثلاً ..

لاشك في أن من يستهين بالواجب المناط به في هذا المجال ، لابد أنه قادر على الاستهانة بأي واجب آخر .. فلئن كان واجبه حراسة موضع معين في جبهة حربية ، فما اسهل عليه ان يهمل ذلك الواجب .. فلا يجعل وطنه يخسر ألف دينار فقط ، وانما قد يسبب مقتل جماعته الذين يحرسهم وانفتاح الحصون الأخرى أمام الأعداء ..

لهذا يمكن القول ان التهاون بالواجب أخطر من الجاسوسية على سلامة البلاد ..

الجاهل الضار المتضرر

يقول المثل الشائع : «يفعل الجاهل بنفسه ما لايفعله العدو بعدوه» .. وانما يعتبر وجود الجاهل من عوامل تخلف مجتمعه ، لأنه لايميز بين مصلحته ومصلحة عامة الناس .. كمن يضع في جهاز التلفون العمومي قطعة نقدية أقل من المطلوب ، ليبرهن على ان باستطاعته أن يغش الآلة .. وبهذا يكون ذكاؤه أعظم من ذكاء صانع هذه الآلة .. لكأن صانعها لم يقصد من صنعها الا أن يتحدى اصحاب الذكاء ..

وقف مرة احد المواطنين حائراً .. يريد أن يقوم بنداء هاتفي مستعجل ولكن آلة الهاتف العمومي كانت عاطلة .. فتأوه بألم وضجر :

ان من عطل جهاز الهاتف كمن هدم الجسر الذي يعبر عليه .. وسيأتيه يوم يكون فيه بأمس الحاجة الى هذا الجسر او ذلك الجهاز . فهو ضار ومتضرر في الوقت نفسه .

والجاهل حينما لايفهم اهمية الالتزام بنظام المرور فيحاول العبور من الاماكن الممنوعة ، او في الوقت الممنوع ، ليس فقط يعرقل ، ويربك ، ويثير اعصاب سائقي السيارات المتحركة .. فيصبح بذلك أداة لهدم سعادة المجتمع ؛ وانما يعرض نفسه للاذى او الموت ..

انقطع التيار الكهربائي مرة في احدى الساحات ، فانطفأت اشارات المرور الضوئية ... واندفعت السيارات الى الساحة من جميع الاتجاهات وكل سائق فيها يتصور ان من حقه الاستمرار في السير فيحاول استعمال ذكائه في الخروج من الساحة .. فحدث مالايريده الجميع : التعطيل والتأخير .. وقفت من كل جانب سيارة سدت الطريق في وجه الأخرى عن اليمين او عن الشمال .. بقي السائقون ينظر الواحد منهم الى الآخر ، او ينظر الى ساعته ، او يدق بوق التنبيه ، او يصيح بصوته .. وكل واحد يتهم الآخر بانه سبب العرقلة والمخالفة لانظمة المرور التي تنظم الحياة.

ليس من الذكاء طبعاً ان يتسرع الانسان في مثل هذا الموقف .. فمن يعرقل غيره يجد من يعرقله ويقف في طريقه .. يعرقل بعضهم بعضاً فيتأخر الجميع ، في الوقت الذي يريدون ان يصلوا الى اماكنهم المطلوبة في اقصر وقت ممكن ؟ اهذا من الذكاء في شيء ؟. وماذا سيحصل ياترى لوكانت القضية ليست مسألة خروج من ساحة بل مسألة خروج من بناية فيها حريق ..!؟ .. لابد انهم سيحترقون جميعاً ، فيذهبون الى رحمة الله .

الفصل الثاني

لماذا ندرس الأذكياء...؟

«الصحة» هي الحركة السليمة للحياة ؛ «والمرض» هو ارتباك تلك الحركة .. اي ان الصحة هي القاعدة ؛ بينما المرض هو الشذوذ عن هذه القاعدة . كذلك «الذكاء» : هو التوجه السليم في الحياة. ؛ والجهل خروج عن الخط السليم ..

يولد الانسان مجهزا بكل وسائل دوام الصحة واستمرارها .. وكذلك يولد ومعه وسائل التعلم والتطور التي تجعله ذكيا في سلوكه واختياراته .. وانما ندرس «المرض» – هذه الحالة السلبية الطارئة – لكي نتعرف على طريق الوقاية منه .. وندرس «الجهل» – هذه الحالة السلبية الطارئة – كذلك لكي نتعرف على اسلوب الوقاية منه .

ولكن هذا لا يعني اننا يجب ان نركز على الجانب السلبي ، فنكون كالناقد الذي يصب كل همه على كشف السلبيات والمساوئ .. وفي غمرة اهتمامه بالسلبيات ينسى الامور الايجابية .. ويسمي عمله نقدا بناء .. فلئن قضى وقته في هدم السلبيات ، فكم سيبقى لديه من وقت لبناء الامور الايجابية وتقويمها..؟ ومتى سيأتي هذا الوقت ؟.(١)

ندرس الاذكياء لانهم الجانب الايجابي .. ويمثلون الحركة السليمة في الحياة ، والقاعدة .. لذا فهم يستحقون كل الوقت ، وكل الجهود .

انما ندرس الاذكياء لانهم – في الحياة التي يكلكل عليها «الكفاح والتنافس من أجل الافضلية والبقاء» – هم الذين يتمكنون من تحقيق الاهداف ، ويستطيعون اتقان العمل ، وبامكانهم التمييز بين المهم والاهم .. ونتيجة لكل هذا تتعطل اسلحة الحرب النفسية ، ويبطل السحر الاجنبي ..

---

(١) عن النقد الذي لايبني، أنظر: للمؤلف (الشخصية– بين النجاح والفشل) جـ٢ ص ١٣١–٣٣.. كذلك (الانسجام.. في النفس والمجتمع) الفصل٣/ ربما سيتطرق البحث في فصول قادمة الى أن النقد يهدم الشيء فلا يبنيه..

(١) يعتقد (هبنر) ان الذكاء ، من الناحية الحسابية . يجعل الانسان متزنا .. ومن صفاته الخلقية عادة طيب المعشر. كما انه سهل التفاهم . واكثر صحة (واقل تعقيدا) .. [٢]

(٢) وبناء على علاقاته الطيبة وما يتبع ذلك من انسجام اجتماعي .. [٣] تتفتح امامه ابواب النجاح .. يقول هبنر : ان المحامي يمكن ان يصير مديرا ناجحا في الاعمال . والسبب ليس لان دراسة القانون اعطته التدريب المطلوب ، وانما لانه يمتلك درجة عالية من الذكاء تجعله يستطيع التلاؤم مع متطلبات ادارة العمل .. [٤]

(٣) ان الذكي يسيطر بذكائه على مشاعر النقص ويستخدمها في تعبيراته الفنية وابداعاته .

(٤) في مجال الذكاء الذي يساعد الانسان على التخلص من الشر يقول الاستاذ «ميد» : «ربما نتفق جميعاً على ان التوجه الذكي هو الذي يكتشف الظروف التي ينبع عنها الشر ، ويتولى السيطرة على هذه الظروف .. [٥]

(٥) منذ أن شيد الانسان «الجنائن المعلقة» في بابل ، او نحت «شريعة حمورابي» او حنط أجساد الموتى ايام الفراعنة .. بل قل منذ ان صنع (نوح) الفلك للنجاة من الطوفان ؛ فقد وضع الذكاء قواه تدريجياً في خدمة المجتمع بصورة تامة ..

(٦) ان مظاهر التطور في هذا الكون المتحرك تتضح في قنص المعاني التي يعنيها هذا الكون .. لان العملية التطورية تظهر آثارها علينا بشكل ذكاء [٦] .

---

(2) Harry Hepner (Psychology Applied...) P.281 f..

(3) OP.cit) P.409-

(4) OP.cit) P.319

(5) George Mead (Philosophy of the Act) P.515

(6) Mead (Loc. cit)

(٧) يعتقد الاستاذ (كاران) بان الفهم والذكاء لدى الانسان – بل العلوم عامة – هي الحل لمآسي هذا الانسان .. اذ يصبح بواسطتها قادراً على «هندسة» نفسه ، بحيث يبرز قابلياته وامكانياته .. فيؤدي ذلك الى المزيد من التقدم ..[٧]

لماذا اذن كانت البحوث والدراسات تصب الكثير من اهتمامها على الشواذ ، والخارجين عن القاعدة ؟ .. كالمصابين باللوث في عقولهم وبانفصام الشخصية ، ومرضى الاعصاب ، وذوي العاهات ؟ .. هل ذلك لأن الاختلاف يبرز كثيراً عندهم عما هو مألوف في عامة الناس ..؟

على اية حال ، فان الاتجاه المعاصر هو التأكيد على سليمي الشخصية (الاصحاء ، والاذكياء) .. فبعد أن يطرح الباحثان (Lugo وزميله) السؤال : لماذا ندرس سليمي الشخصية .. فانهما يوجزان الاسباب بمايلي :–

١ – لديهم ميل لأن يتمتعوا بالحياة اكثر من غيرهم ..
٢ – يتجاوبون مع عدد كبير من ابعاد الحياة.
٣ – لديهم علاقات انسانية عميقة ومتواصلة مع الآخرين ..
٤ – يميل أفراد عوائلهم وأطفالهم لأن يكونوا اكثر سعادة ..
٥ – يقضون حياة أسعد نتيجة لما ينجزونه بأنفسهم ..
٦ – يؤدون عملهم بأفضل وجه – في مختلف مجالات الحياة ..[٨]

باختصار ، فان الاذكياء اضافة الى كونهم يحصلون على اكبر قسط من متعة الحياة ، فهم – حسبما تشير البحوث – يستطيعون بذكائهم أن يتعلموا ليصبحوا اكثر صحة وسلامة ونشاطاً ، فيحققوا لأنفسهم الانجازات ولمجتمعهم التقدم .. وهذا امل الجميع ..

---

(7) D.G. Garan (The Key to the Science of Man) Philosophical Library , N.Y. 1975, P.523

(8) James O.Lugo & G.L. Hershey (Living Psychology) U.S.A. 1981, P.5

ان الذكي بقدرته على ابتكار افكار جديدة ، يكون محترماً في مجتمعه .. وعلى نقيض ذلك ، يشكل المتخلف عقلياً عقبة اجتماعية ، اذ على المجتمع ان يلتزم بتوجيهه والعناية به عناية خاصة .. [٩]

(9) Mowbray & Rodger (Psychology in Relation to Medicine) N.Y. 1978, P.192

الفصل الثالث

ما معنى الذكاء...؟

صفة الذكاء

من معاني الذكاء

مما تقوله القواميس

الذكاء ليس غريزيا

مامعنى الذكاء ..؟

في الزمن الماضي – ولنسمه «زمن الأمية» – كانت طريقة الباعة ، وخصوصا البقالين في الاعلان عن الخضروات والفاكهة التي يبيعونها بأن ينادوا بصوت عال مرددين عبارات كثيرا ما تكون ذات نغم جميل ، يمدحون بها سلعتهم كقولهم : «ريان يافجل ..!» او «جاووش العشا يافجل ..!» او : زلابية وشعر بنات ، وين اولي وين ابات ؟ ...(١)

كان أحدهم يبيع البطيخ ويدعي بمناداته ان البطيخ الذي عنده يزيد الذكاء ... وفي اليوم التالي أتاه احد الزبائن ليسأله مستنكراً :

«كيف تدعي ان بطيخك سيزيد ذكائي ..؟»

أجاب البقال : «نعم ... مازلت اقول هذا ..والدليل : أنك أكلت منه البارحة ، واليوم انت اذكى من امس ..»

– ولكني لاأشعر أن ذكائي قد ازداد ..!

– طبعا ، ازداد ذكاؤك كثيرا .! .. بالامس صدقتني تصديقا اعمى ، فاشتريت البطيخ .. اما اليوم فانت اصبحت لاتصدق تصديقا اعمى .. صرت تحتج .. وتتشكك .. وتريد الدليل .. الا يعني هذا ان ذكاءك قد ازداد ..!؟

لايدري ذلك البائع انه بحواره هذا ، وبطريقته الخاصة ، قد قدم لنا احد تفاسير الذكاء ، ومعنى من معانيه .. فما هي معاني الذكاء ياترى ..؟ وماتفاسيره؟ ..

نقول : هذا الطفل ذكي .. وقلما يسألنا احد السامعين : كيف عرفتم ذلك ؟ .. ونقول : هذا اذكى من ذاك .. ولا أحد يطلب منا الدليل .. او الميزان الذي وزنا به ذكاء الاثنين ، فاتضح لنا بعد الوزن كون الذكاء عند هذا اكثر من ذكاء صاحبه ..

نعرف بصورة تكاد لاتقبل الشك ان الطفل الذكي محبوب .. وان اهله يفاخرون بذكائه امام الناس .. فاذا كانت كلمة «ذكاء» مشتقة من الفعل ذكا .. يذكو : اي اتقد واشتعل .. فما الذي يتقد في الطفل الذكي فيجعله محبوبا ..؟ ما الذي يشتعل

(١) للاطلاع على مزيد من هذه الصور، انظر: د. نوري حمودي القيسي – نداءات الباعة في الموروث البغدادي– في مجلة (التراث الشعبي) بغداد ١٩٨٤، ع ٥–٦ ص ص ١٨٤–١٩٠.

عنده ويلمع فيجعلنا نقول عنه :

انه : لامع ..؟

صفة الذكاء

قال (التوحيدي) مرة يصف (زيد بن رفاعة) : «هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ويقظة حاضرة ..»[٢]

وقال (عمر بن لجأ) : « شابت ولما تدن من ذكائها ..» ومعنى الذكاء هنا : «تمام السن ، ونهاية الشباب .»[٣] وتمام السن ربما يعني : كمال النمو الجسمي ، او كثرة الخبرة والمعلومات ، او الاثنين .

والذكاء حسب رأي (كننغهام) لايعتمد على مايدخل في الذهن ومايخرج منه من معلومات ، ولاعددها ولاتنوعها ، ولاحتى طبيعة تلك المعلومات الدقيقة (والمضبوطة) .. ويعطي الدليل على هذا بان «العميان والصم والناس الاعتياديين قادرون على السلوك الذكي ..»[٤]

لكن المشكلة كما يراها (كننغهام) هي ان «مجال الانتباه» عند الانسان والسهولة التي يتدفق بها نشاطه (من عضو الى عضو اخر) ليست من الصفات الثابتة في الجهاز البشري ..

قد نصف الذكي بـ (النباهة) فنقول : انه نابه (او نبيه)وفي احدى الالعاب الشعبية المعروفة في ليالي رمضان (لعبة المحيبس) التي يمكن ان تدعى «لعبة الذكاء» . يتبارى فيها الشبان ويتسابقون لاستخراج المحبس (او الخاتم) المخفي في قبضة احدى ايدي الفريق الاخر..

فهل الانتباه هو الذي يجعل اللاعب يعرف مكان وجود (المحبس)؟ ام هي قدرة الانسان على ان يحزر ويخمن .. فيكشف المخبأ والمستور ..؟ وهذا يعني : القدرة على الحدس ..

---

(٢) ابو حيان التوحيدي (الامتاع والمؤانسة) ج٢ ص٤.

(٣) ابو عثمان الجاحظ (كتاب البرصان والعرجان.. الخ) ص٦٠.

(4) Gunningham, Michael (Intelligence...)
U.S.A. 1972 P. 18.

لقد اشغل موضوع «الحدس» احد الباحثين اكثر من عشر سنين وكانت نتيجة تتبع هذا الباحث انه الف كتابا عن سيكولوجية الحدس .. يقول المؤلف (د. وست كوت) : «ان ما أثار متابعة موضوع هذا الكتاب لمدة حوالي (١٢) عاما هو انه (اي المؤلف) خطر على باله مرة ان بعض الناس (يدرك الغاية) او يفهم القصد اسرع من البعض الاخر ..؟»[٥].

هل الذكاء هو الحدس .؟ أم يعني : ادراك الغاية وفهم القصد بصورة اسرع ..؟

من معاني الذكاء

«ان الممارسين والعاملين في الحقل التجريبي يجهدون انفسهم غالباً لابراز الامور النظرية في ضوء خلفية خبراتهم المهنية ..» هذا مايقوله (بايل) .. انه ينظر الى الذكاء من حيث هو : مجموعة من مهارات وعمليات متطورة ..

فيما يلي بعض القدرات التي يعنيها (بايل) :

آ – قدرة الفرد . او مايستطيع ان يفعله الان .

ب – مايؤمل له أن يفعل في المستقبل .. القابلية للتعلم مستقبلا ..

جـ – السرعة في التطور الذهني (للطفل).. تنمية الادراك[٧] ..

د – القدرة على الانتفاع من الخبرة .. والمرونة في التغير والتجدد ..

ثم يقول : « ان المعاني تتعدد حسب اهمية القدرة (او القابلية) ويصعب علينا احصاؤها .. ولو حاولنا ذلك لامتلأ الكتاب دون الوصول الى تحديد معين ..[٨]

---

(5) Dr. Malcolm R Westcott (Toward a Contemperary Psychology of Intuition) N.Y. 1968, P VII.

(6) David W. Pyle (Intelligence - an Introduction) London 1979 , P.x

(7) (Ibid) ch. 4

(8) (Ibid) p.3

وفي نفس هذه الفترة الزمنية طرح (روبن وزميله) رأيا فيه بعض الاختلاف عن فكرة القدرات نوعا ما .. اذ يقولان ان الذكاء «هو القابلية الباطنية والتمكن ، لا وجود المهارات وامتلاكها ..»(٩) .

فالنظرية الشائعة للذكاء يمكن ان تتلخص بالقول : انه قابلية تنطوي تحت لوائها جميع القدرات .. فمن الناس من تتطور لديهم القدرة العلمية ، او القانونية .. وحتى القدرة الاجرامية .. وذلك بالاستناد الى عوامل اخرى : كالولع ، والتربية ، والخبرة ..

مما تقوله القواميس .

يقول احد المعاجم ان الذكاء هو : قابلية الحصول على المعرفة وتطبيقها(١٠)

وقيل انه : قابلية الفرد لفهم العالم من حوله ، وتوصله الى معالجة تحديات هذا العالم ..(١١)

او هو : محصلة التكامل الفطري في تكوين الوظائف العليا لدى الانسان ..(١٢)

أو القدرة على مواجهة الوضع المستجد والتلاؤم معه بسرعة وحزم ... الخ(١٣)

وهذا يشبه قول (د. فاخر عاقل) : مرونة التكيف ، وتتجلى خاصة في التكيف السريع مع الاوضاع الجديدة ..(١٤) .

من المعاني المرادفة للذكي التي يعطيها (قاموس ونستون) في طبعته الجامعية : لامع ، سريع النباهة ، مفهوم (منطقي) ، حاذق ، مرهف الحس .

والمعاني المضادة : بليد ، غبي ، جاهل ...(١٥)

---

(9) Rubin & MCNeil (Psychology of Being Human) N.Y. 1979 , P. 167

(10) (American Heritage Dictionary) 1969 and (Webster's) 1973

(11) David Wechsler (1975) , See : Rubin &McNeil (...Being Human) P. 167

(١٢) (المعجم القانوني) المكتبة المركزية – جامعة بغداد ، ص١.

(13) J.P Chaplin (Dictionary of Psychology) N. Y. 1973

(١٤) د. فاخر عاقل ،معجم علم النفس ١٩٧١

(Dictionary of Psychological Expressions)

(15) (The Winston Dictionary) College edition 21st. U.S.A.

ان كثرة التفاسير (والمعاني) التي اعطيت للذكاء ، جعلت د . فرون (١٩٨٠) يقول «ان الذكاء مقولة خادعة .. كثرت حولها الاقاويل والتعليلات ..»[١٦] .

قبل العشرينات ، حيث بدأ عالم النفس السويسري (جان بياجيه) تتبعاته عن الذكاء ، كان هناك القليل من البحوث والنظريات حول الموضوع .. وحسب تتبعات هذا العالم كان الذكاء يعني : حالة معينة للتكيف والمواءمة البايولوجية ..[١٧]

على ان العالم (هنري برجسون) حاول توضيح هذه القضية المتشابكة بأسلوب ابسط قائلا :

الغريزة : من صفات الحيوان المميزة ..

العقل او الذكاء : ملكة اختص بها الانسان ..

فالغريزة : هي مجرد مقدرة على استخدام آلات عضوية (كالأرجل والمنقار .. الخ) لكن الذكاء : يصنع .. يركب آلات غير عضوية .. «من اجل الاستعانة بها على تحقيق بعض الاغراض او المنافع العملية ..»[١٨] اليس هذا منطلق التكنولوجيا «فالذكاء اذن قدرة على اختراع ادوات والات (في جميع اوجه الحياة)».[١٩]

الذكاء ليس غريزيا

يتصور بعض الناس ان الذكاء هو التعلم .. والتعلم فعالية غريزية. فلو كان الذكاء كالغرائز الاخرى ، لوقف الانسان على قدم المساواة مع اخيه الحيوان .. والانسان لايرضى ان يتساوى مع الحيوانات ..

الواقع ، لو كانت الحيوانات ذكية ، مثل الانسان ، لاستطاعت أن تطلع – بطريقة او باخرى – على هذا الكتاب .. ولقرأت هذه السطور ، ولغضبت من كاتبها اشد الغضب .. والعياذ بالله من غضب الحيوانات ..

(16) Pieter Vroon (Intelligence) 1980, P.VII

(17) Ginsburg & Opper (Piaget's Theory ...) N.J. 1969 , PP. 13 & 14

(١٨) هنري برجسون (التطور الخالق) انظر: (تراث الانسانية) م٢ ص ٤٤٥

(١٩) (المصدر السابق) ص ٤٤٦

ولكننا نعلم – الى درجة تبعث على الاطمئنان – بان هذا الكتاب لو وقع في يد الفأر (او الثور مثلا) لأكله ، بدل أن يقرأه ويعرف مافيه .. لأننا يمكن ان نتفق على ان الحيوانات لايمكن ان تخرج عن كونها امية .. ولن تستطيع ان تتعلم القراءة او الكتابة .. رغم ماعندها من اذان دقيقة السمع – وقد تكون ادق في سمعها من الانسان – فلو كانت ذكية حقا او تسمع وتفهم مانقول عنها ، لحاولت ان تنتقم منا .. او على الاقل تتمرد علينا .. او ربما تنتحر ..

فالكلب ، هذا الذي يضرب به المثل بالوفاء للانسان ، لو كان يعلم ان هؤلاء البشر حينما يشتمون احدا يشبهونه بالكلب ؛ لندم على وفائه الضائع واخلاصه الذي راح في غير محله ..

ولو علم ان احد الشعراء قد هجا واحدا من ابناء ادم واحتقره قائلا :

هو الكلب وابن الكلب والكلب جده

ولاخير في كلب تناسل من كلب

لقاطع بني ادم ؛ ولأصبح الد اعدائهم ..

ولو علمت الحيوانات بانها تباع وتشترى .. وان هناك ناسا يطلق عليهم اسم «القصابين» (او الجزارين) ؛ لاثارت حربا عالمية شعواء ضد هؤلاء الناس ...[٢٠] .

صحيح ان الحيوانات تتعلم .. ولكن التعلم شيئ ، والذكاء شيئ اخر .. ويرى «ستنهاوس» مؤلف كتاب (تطور الذكاء) ان هناك فرقا بين الذكاء ، والتعلم (الذي هو من الغرائز) .. لان الذكاء يمتاز على التعلم وعلى الغريزة .. وهو بمعناه الواسع : سلوك ذكي يشتمل على كل من الغريزة والتعلم .. او يمكن ان نروح الى ابعد من هذا فنقول : انه قابلية السيطرة على الاثنين – الغريزة والتعلم – معا[٢١] .

---

(٢٠) لكن الحيوانات لم تكن الجاهلة الوحيدة التي تباع وتشترى فقد باع الناس الانسان الجاهل واشتروه في فترات الظلام الحضاري.. أنظر الفصل ٨ من ص ١٠٨ – ١٩٠

(21) David Stenhouse (The Evolution of Intelligence) London 1974 , P .336

دراسة (د . للي)[٢٢] التي اجراها على « الدولفين» والاعمال الاخرى التي اجريت على الحيوانات ؛ كلها تدل على ان الانسان يوضع في درجة اعلى بالنسبة للحيوانات الاخرى .. من حيث المرونة ، والقدرة على تكييف سلوكه ..[٢٣] .

(22) Dr. Lilly.

(23) Mowbray & Rodger (Psychology in Relation to **Medicine) P.189**

الفصل الرابع

بين الحيوانات والبشر

ذكاء الحيوانات

هل للحيوان عاطفة؟

مايقوله المنطق

الحيوان والانسان

بين الحيوانات والبشر

قبل ان ندخل في مسألة الصلة بين الانسان والقرد .. المسألة التي شغلت الباحثين وعلماء النفس فترة من الزمن لايستهان بها .. قد يكون من الافضل النظر الى الحيوانات بصورة عامة ، والى مدى صحة الاعتقاد الشائع عن ذكائها ، والقصص التي تروى عن الافعال التي تؤديها بحيث تبدو، وكأنها تقوم بها عن فهم وذكاء ..

ذكاء الحيوانات

مما رواه «الدميري»[1] ان اخوين جلسا تحت شجرة يستريحان من تعب السفر ، وكان هناك قرب جذور تلك الشجرة حفرة خرجت منها «حية» تحمل في فمها دينارا ، وضعته امامهما وانصرفت .. وفي اليوم الثاني جاءتهما بدينار اخر .. وفي الثالث ، وبعد ان جاءت بالدينار وعادت الى الحفرة ، قال الاخ الصغير : ان هناك كنزاً .. ويجب ان نقتل الحية ونحفر في مسكنها لنستخرج ذلك الكنز ، بدل هذا الانتظار الطويل ..

وحينما خرجت في اليوم التالي عاجلها هذا (الاخ الصغير) فضربها على رأسها بحجر .. فهجمت عليه ولدغته لدغة قضت عليه .. دفن الولد الكبير اخاه ، ومكث قرب الشجرة على امل ان يرى الحية ثانية .. لكنه لايعرف كيف يعتذر اليها ويوضح لها ان اخاه كان مخطئا . وانه ضد سرقة الكنز .

ربما كانت القصة تنتهي بخوف الاخ الاكبر على نفسه ، فيهرب قبل ان يكون مصيره كمصير اخيه .. ولكن ، لا .. لقد شاء الرواة ان تخرج اليه الحية معصوبة الرأس ، فيعتذر لها ، فترفض عذره قائلة : اذهب .!.. فلا أنا استطيع ان انسى الضربة على رأسي ولا أنت تستطيع ان تنسى اخاك ..

---

(١) كمال الدين الدميري (حياة الحيوان الكبرى) القاهرة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ج١ ص ٤٨٧ – ٤٨٨.

الانسان ، حينما ينقل مثل هذه القصص، يحب دائما ان يضيف اليها بعض الملح لتبدو ألذ طعما واكثر اثارة .. انها نوع من قصص (الخيال العلمي) بالنسبة لذلك الزمان .. وانما يجعلون الحيوان يتكلم فلكي يحصلوا من مثل هذه القصص على التشويق والترويح ، اضافة الى اخذهم العبرة ليزدادوا حكمة (٢) .

ربما القصة التالية ، التي سمعها كاتب هذه السطور في مضارب (بني تميم)، قد تناقلها الرواة من كتاب (الدميري) واضافوا اليها الملح والبهارات حتى وصلت بهذا الشكل :

ان حية اليفة تسكن احد البيوت ، قد توطدت لها صداقة مع الطفل الوحيد لاهل البيت .. وفي يوم ، جاءت الحية لتلعب مع الطفل فوجدت ثعبانا (او عربيدا اسود) يشرب من حليب الطفل ثم يرده من فمه الى الوعاء بعد ان اختلط بسمه فخافت الحية ان يأتي اهل الطفل فيعطوه من ذلك الحليب المسموم ، فرمت بنفسها فيه ثم خرجت لتتقلب على التراب .. ورجعت الى الحليب فغطست فيه .. وكررت العملية عدة مرات حتى امتلأ الحليب طينا ..

اثناء ذلك ، سمع الاهل بكاء طفلهم .. وهرعوا فوجدوا الحية تتقلب في الحليب .. فضربوها بالفأس فانقطع ذيلها فثارت ثائرتها وهي تهددهم قائلة اما سمعتم شاعركم حين قال :

لاتقطعن ذنب الافعى فتتركها ... ان كنت شهما فألحق رأسها الذنب

ومن شدة غضبها راحت الى طفلهم فلدغته لدغة قتالة . وهربت في اثر الثعبان .

باختصار اكتشف الاهل قضية العربيد الاسود فيما بعد ، وندموا على ضرب الحية اشد الندم وصاروا ينادون عليها ويرجون رجوعها .. وقد عادت لتقول لهم

---

(٢) يقول (ابن المقفع) في مقدمة كتابه .. « لقد وضع هذا الكتاب على افواه البهائم والطير .. فجمع حكمة ولهوا .. فاختاره الحكماء لحكمته ، والسفهاء للهوه .. » / أنظر : (كليلة ودمنة) بولاق – القاهرة ١٩٣٥ . ص٥٨.

«.. انتهت صداقتنا .. فلا انتم تستطيعون نسيان طفلكم .. ولا أنا استطيع نسيان ذيلي»*.

هل للحيوان عاطفة ؟

يقول (برجن ايفانز) ان الحيّات والافاعي قد استحوذت على خيال البشر دائما .. في البداية كانت مصدر الشر ، ترسلها الآلهة لتنفذ العقاب ..[٣] وفي العصور الوسطى ، نشأ الاعتقاد بانها ترضع من البقر ليلاً .. وتبتلع صغارها لدى الخطر ، ثم تستفرغها عندما يزول .. وتحمل لسعها في ذيلها ..[٤]

وذات الاجراس ، رغم ماينسب لها من الغدر والخيانة فان لها قيمها الاخلاقية الخاصة .. فهي باجراسها تنذر اعداءها بشهامة قبل ان تهاجمهم .. وتذهب الغيرة والشهامة عندها الى حد انها قد تتابع من قتل زوجها فتثأر منه .. والا فانها تلدغ نفسها بانيابها السامة مفضلة الموت على العار ..[٥].

وللبرهنة على ان الحية لاتؤذي من لايؤذيها ، يقول الشعبيون خصوصا في اريافنا : جنب العقرب لاتقرب.... جنب الحية افرش ونم[٦]

ويأتي عالم من جامعة (هارفرد) فيجري دراسة عن مجتمع النمل الذي كان المعتقد انه مجتمع منتظم ، كل فرد فيه يعرف واجبه وليس هناك اية مخالفة..

ومن نتائج الدراسة صار هذا العالم ينوه بامكانية وجود صراع بين العاملات والملكة، فالعاملات الكبيرات السن عادة – يخالفن الاوامر فيضعن بيضا ، وفي اعشاش بعيدة عن المملكة، ولأن هذا البيض غير ملقح فهو لاينتج غير الذكور. وبعد أن تعلم الملكة بذلك تضطر ان تحل المشكلة بالاسلوب التالي :

(*) في (مجمع الأمثال) للميداني ج٢ ص ٨٢ .. و (قصص العرب) ج٤ ص ٣٦٠ : «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟!».

(٣) وفي القصص الدينية : أن الحية هي التي احتالت على (آدم) فكانت سببا في اخراجه من الجنة .

(٤) برجن ايفانز (لم العقل .. ؟) ترجمة : د. موفق الحمداني ومريم شرارة ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٤١

(٥) (المصدر السابق) ص ٤٢

(٦) لهجات شعبية كثيرة تقلب الجيم ياء ، وتلفظ الفتحة ألفا .. فأصل المثل الشعبي هو : (يم العكرب ، لاتكرب .... يم الحية ، افرش ونام).

١ – تأخذ من سائل الزواج المخزون فتلقح به ذلك البيض كي لا يفقس كله ذكوراً .
٢ – تعاقبهن على المخالفة بأن تأمرهن بجلب الطعام لها – كما كان يفعل الحاكم في اوربا اذ يعاقب النبلاء (او البارونات) المخالفين بان يفرض عليهم مبلغاً من المال كغرامة(٧) .

الجدير بالذكر ان الملكة في مجتمع النمل تتزاوج مرة واحدة ، يموت زوجها بعد ذلك .. وتحتفظ هي باللقاح في خزان خاص لاستعماله في تلقيح البيض عند الحاجة .
والمسموع ان العقرب كذلك تتزاوج مرة واحدة ، وبعدما يتم التلاقح تقلب ذنبها على زوجها فتقتله ... لماذا ؟! هل لديها علم بأنها ستموت بعد ولادة فراخها ؟. اذ المعروف ان جسمها يتورم ثم يتمزق فتخرج منه الصغار ، وقد تأكل هذه الجسم الميت .. أين نبل الاخلاق .. وأين الذكاء في هذه العملية ؟.. وهل تفهم الصغار ماتصنع ؟..
يحاول بعض الباحثين ايجاد مزايا لدى الحيوانات تجعلها تقرب من الانسان .. من حيث الاحساس ، والعاطفة ، والذكاء ..

(١) عثر عالم الفسلجة في جامعة كاليفورنيا (ريتشارد تومسون) قبل زمن ليس ببعيد على بعض الحجيرات المخية في رؤوس القطط (والقرود) فيها القابلية على العد الحسابي .. لأنه وجد ان بعض خلايا المخ لدى هذه الحيوانات تتحرك برد فعل (او تستجيب) بعدما يدق الجرس سبع مرات ..(٨)
(٢) اذا كان هذا الحيوان يستطيع العد الحسابي ، لحد السبعة على الاقل ، ربما يتمكن من تمييز الكلمات او يقولها ، لولا الفرق البسيط في ان للقط مفاتيح كهربائية في مركز الجهاز العصبي اقل عدداً من المفاتيح (او السويجات) التي لدى الانسان .. وربما هذا هو احد الاسباب التي تجعل القط لايستطيع تعلم الكلام ...(٩) .

---

(7) (The Economist) 10 Sep . 1983 , P. 72 - 3
كذلك : عباس مهدي/في مجلة (النفط والتنمية) ع ١ ، ١٩٨٤ ص ١٦٢ – ١٦٤
(8) Richard Thomson in (The Reader's Digest) Nov. 1970 , P. 78 f.
(9) Stuart Chase (The Tyranny of Words) N.Y. 1966 , P.50

(٣) ان السمك يمتاز على الحيوانات اللبونة بانه اذا ما انقطعت الحبال العصبية التي تربط بين عينه ومخه ، يستطيع استرجاع ارتباطها لأنها تنمو عنده من جديد. وقد لوحظت العملية وصورت بـ (ميكروسكوب) فظهر ان تلك الاوتار العصبية قد نمت وارتبطت ..[١٠] .. وهذه الفكرة تجعل السمك يمتاز على اللبونات .. ومنها الانسان ..(*).

(٤) وان الحيوانات ومنها الفئران مثلاً ، لاتصاب بانفصام الشخصية (او الشيزوفرينيا) لانها خالية من القلق والتوترات ، والمخاوف ، وامراض الاعصاب[١١]..

(٥) والتجربة التي قام بها (ريفيز – ١٩٢٤) واستشهد بها (ثورب – ١٩٦٣) اظهرت أن الدجاجة اذا رأتنا نضع الأكل تحت قطعة من الورق ، فانها تزيح تلك الورقة لتصل الى الطعام المخبأ تحتها[١٢]..

(٦) ومن المعتقدات الشائعة أن للدجاجة عاطفة وحناناً يجعلها تلملم البيض وتنام عليه لتسخنه مدة (٢٠ الى ٢١) يوماً لكي يفقس .. وأن الطيور تحامي صغارها من الأعداء ، وأن الحشرات التي لاتقوم بتربية صغارها بنفسها تهيئ من وسائل العيش مايكفي لتغذية تلك الحشرات الصغيرة .. ثم تغادر ذلك المكان ..

(٧) وقد ذهب بعض الكتاب بعيداً في الخيال الى درجة انهم تصوروا أن مايجري في حدائق الحيوانات هو أن الناس يتفرجون على الحيوان المحبوس ، كما أن ذلك الحيوان ينظر اليهم بنفس الاسلوب ويقول : من هم هؤلاء (الناس) الذين يعتقلونني لكي ينظروا الي ويحدقوا نحوي .. ويشعرون بالرفعة والنبل لأنهم لم يقضوا على ابناء جنسي ، ولم يمحوهم من وجه الارض ..؟ من هؤلاء الذين يسيطرون على مصيري لانهم اقوى مني ؟.. من هؤلاء الذين يمنعوني من الخروج .. ويصدون الريح عني ؟..

---

(10) (The Reader's Digest) loc .cit.

(11) (The Economist) 21 Nov. 1981 , P. 97 -

(12) Stenhouse (OP. cit.) P.161.. Quoting : Revsz & Thorpe.

(*) هل هذا هو السبب الذي جعل بعض الكتاب يظنون أن : أصل الانسان سمكة .. ؟

من هم هؤلاء الذين يسأل أحدهم الآخر : مانفع هذا الحيوان ..؟ مانفعي انا .. لمن ؟.. لمن ؟[١٣]

مايقوله المنطق

طبعاً ، الحيوانات لاتصاب بالامراض العصبية والنفسية لانها لاتفكر مثلنا .. لذا فهي لاتقلق ولاتصاب بانفصام الشخصية (الشيزوفرينيا)..

وحتى بالنسبة للاندفاعات الغريزية التي عندها ، فليس لديها الذكاء الذي يسيطر ويوجهها .. فالدجاجة في التجربة التي اوردها (ستنهاوس) لاتستطيع ان تميز بين الورقة التي تحتها العلف وبين الزجاجة الشفافة .. لذلك فهي لاتزيح الزجاجة الموضوعة بدل الورقة ، بل تحاول التقاط العلف بنقر سطح الزجاجة .. وبرأي (ستنهاوس) : «ان هذا يوضح من بين امور اخرى وجود عطل في القدرة على ايقاف استجابة النقر مع حضور المحفز-اي منظر العلف»..[١٤]

ثم من يقول انها ازاحت الورقة لأنها تتذكر رؤية العلف وهو يوضع تحت تلك الورقة ..؟ الا يمكن ان تكون رائحة العلف هي التي جذبت انتباه الدجاجة ..؟

أما عاطفة الدجاجة نحو اطفالها قبل التفقيس وسهرها على البيض (٢١) يوماً فان (ايفانز) ينفي وجود اي حنان او شعور نبيل اذ يقول : المسألة وما فيها هي ان الدجاجة تصاب بحمى في جلدها وقت التفريخ ولذلك فالقضية معكوسة .. انها لاتدفئ البيض ، بل تحاول تبريد الحرارة في جلدها .

ويستدل على رأيه بانها تحتضن اي شيء وبمستوى متوازن وغير خشن .. نعم انها تبعد بيضة البط لأن حجمها غير متناسب مع البقية .. ولكنها تحتضن بيض البط اذا كان كله بيض بط ، بسبب تناسب حجمه .. ولامانع لديها من الجلوس على بيوض من خزف ..

---

(13) Rodney Petersen (The Philosophy of a Peasant) U.S.A. 1979 , P. 97

(14) Stenhouse (Loc. cit.)

يعرب ايفانز : «يتكون نتيجة لافرازات الهورمونات التي تحدث للدجاجة حين موسم (التكريك) في جلد صدرها ، التهاب ذو درجة واطئة يبدو أنه غير مريح . وهذا الألم او على الاصح الرغبة في التخلص من الألم يكون الدافع الاساسي لجلوس الدجاجة على البيض» .. [١٥]

الحمامة تفرخ ، ثم ترى فراخها تؤخذ فتذبح .. ثم لا يمنعها ذلك ان تعود فتفرخ في نفس المكان ، فتؤخذ فراخها ثانية للذبح .. [١٦]

ولو ان رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به لسمي جاهلا .. [١٧]

ان غرائز بعض الحيوانات متطورة جدا (او معقدة) الى درجة يتصور الانسان انها نوع من الذكاء .. فالزنبور (سفكس) يضع بيضته ويلصقها على فخذ الجرادة (الجندب) بعد ان يشلها شللاً مؤقتاً – بفتح رقبتها فيدخل فكيه ويعصر مخها ، ثم يسحبها الى المخدع .. وبعد فترة تفقس البيضة ويخرج (سفكس) صغير فيبدأ بأكل الجرادة المشلولة .. وهكذا يكون الزنبور الصغير قد حصل على مؤونة من الغذاء الطازج لكي يستمر بالبقاء ..

الغريب في الامر ان هذه التجربة قد اوصلت (فابر) الى ان الزنبور لايستطيع التصرف بهذه الغريزة التي لديه ولايتمكن من تغييرها .. فقد تتبع (فابر) ذلك الزنبور الذي اجرى عملية الشلل على الجرادة ، ورآه يسحبها الى فوهة كمينه .. فاكتشف ان الزنبور يترك الجرادة عند الفوهة ويدخل الكمين ليتفحصه .. ثم يخرج لسحب الفريسة الى الداخل .. استغل (فابر) هذه الجولة التفتيشية فابعد الفريسة عن المدخل .. فوجد ان الزنبور يبحث عنها اولاً ، ثم يجدها فيسحبها الى فوهة المدخل ويتركها ثانية ليدخل للتفتيش ، ولما يخرج فلا يجدها في مكانها يعود مرة اخرى للبحث . والسحب ثم جولة التفتيش .. ويعود فيكرر نفس العملية مرات ، رابعة ، وخامسة .. الخ ..

---

(١٥) برجن ايفانز (لم العقل) ص ٢٢.

(١٦) ابن المقفع (كليلة ودمنة) ص ٢٣.

(١٧) (المصدر السابق) ص ص ١٩ – ٢٠.

يستنتج (فابر) من هذه التجربة ان غريزة الحيوان ليس فيها مرونة في التصرف كالمرونة التي تحصل عن طريق تعلم الانسان ...[١٨]

الحيوان والانسان

لقد بدأ استاذ علم النفس (ثورندايك) عمله بالسؤال : «ما الصلة بين ذكاء الحيوانات وذكاء البشر..؟» .. والواقع (برأي رينتش) ان الاختلاف بين الحيوان والانسان هو ليس بدرجة الفهم والتعلم ، وانما بنوع ذلك التعلم .. ولكن اتقان العمل لدى الحيوان قد لايكون أقل مما لدى الانسان ..

يرينا (فابر) أنه بينما كان يدرس الدودة (ام السبعة وسبعين) وجد بالصدفة ان قائدها وضع خيطاً (او مساراً) حريرياً حول مزهرية ، فظلت الحشرات الباقية تتبع ذلك المسار.. واستمرت تدور حول المزهرية اكثر من اسبوع[١٩] .

ويتدرب الحيوان ويتعلم .. كما تتعلم كلاب البوليس ان تشم ثياب الشخص المطلوب فتميز رائحته ، وتلاحق آثار تلك الرائحة .. وفي هذه الحالة تتابع الشرطة اثار الهارب .. وتتابع الكلاب رائحته ، مع وجود فرق كبير بين المتابعتين ، رغم ان حاسة الشم عند الكلاب اقوى ..

يعلق (ميد) على هذه القضية قائلاً : «قد يستجيب الحيوان الى بعض الامور بصورة ربما ادق من الانسان - مثلاً الكلب نحو الرائحة - ولكن من خارج نطاق قابلية الكلب ان يطلب من كلب آخر ملاحقة هذه الرائحة او غيرها .. أما الأنسان فهو قادر على تمييز الصفات والخصائص التي يتميز بها هذا الشخص عن غيره ... هذه القابلية هي التي يمتاز بها الذكاء .. ولذا نقول غالباً ان الانسان حيوان عاقل . (أو حيوان ذكي) ..[٢٠]

---

(18) Wrench (Psychology - a Social Approach) 1969 P. 118

(19) (Ibid) P.112 (Thorndike)

(20) G. Mead (Mind, Self & Society) P. 92

ويمكننا القول ان البشر والحيوانات كلها تتلاءم مع البيئة في سبيل العيش والبقاء .. والفرق هو «ان السلوك البشري يتوصل الى التلاؤم مع البيئة عن طريق الذكاء ؛ أما سلوك جميع الحيوانات الاخرى فيحقق التلاؤم بصورة غريزية ...»[٢١]

المشكلة هي ان «علماء الاحياء» يطيب لهم ان يضعوا الانسان مع بقية الاحياء تحت نظرة واحدة ، لذا فالكثيرون منهم يتجاهلون الذكاء البشري ، أو حتى ينكرون حقيقته .. اما «علماء المجتمع» فلا يطيب لهم ذلك ، والكثيرون منهم ينكرون جعل الانسان عضواً في المملكة الحيوانية ..

خلاصة القضية ان في الانسان كيانين : كيان حيواني تسيره الرغبات والغرائز التي يتساوى فيها مع ابن عمه الحيوان .. وكيان مفكر يزن الامور ويتأمل ويخطط للمستقبل .. ان الانسان لايستطيع ان ينعتق من كيانه الاول ، وذلك لكي يبقى مستمراً في الحياة ..

(21) Stenhouse (Op. Cit) P.15

الفصل الخامس

الانسان والقرد

نظرة الى ابن عم الانسان

مدرسة القرود

الطلبة «القرود».. ووضعهم النفسي

اما الحساب...

السبب الذي دعا بعض علماء الاحياء والطبيعة لأن يتصوروا ان اصل الأنسان قرد ، هو هذا الشبه العظيم بين الاثنين .. والواقع ان اقرب الاقارب الى الاسرة البشرية هم القرود الكبيرة ...[1] .. الفصيلة من الحيوانات الراقية التي تضم (الشمبانزي والغوريلا) ؛ اذ أنها تشبه البشر في تركيب بنية الجسم . والأعضاء . والقامة شبه - المعتدلة ، وطول الذراعين .

واقرب هذه القرود هو : القرد الضخم (أو الغوريلا : وهو اسم افريقي يعني : الانسان المتوحش) .. انه قرد افريقي شبيه بالانسان .. طول قامته خمسة أقدام . ممتلئ الجسم وقوي الاطراف .. وهو اضخم قرد معروف حتى الان ....[2]

هذا من حيث المظهر .. أما من حيث القدرة على التعلم . والذكاء . والذاكرة ، فقد حاول العلماء في تجارب عديدة تعليم القرود الامور التي يتعلمها الانسان .. واستندوا في امكانية نجاح تلك المحاولات على أساس ان الطفل في الفترة الاولى من حياته لايختلف كثيراً عن الحيوان في السلوك وفي معرفته لما يحيط به ..

فهو اذا رأى لحماً مشوياً ، او شم رائحته . لايسيل لعابه (كانعكاس شرطي لهذا المنبه) .. ويفسر علماء وظائف الاعضاء (او الفسلجة) ذلك بان سيل اللعاب شيء مكتسب ، يتعلمه الانسان والحيوان من البيئة .. و «ان المنعكسات المكتسبة لاتنتقل بالوراثة ..» ...[3]

(1) Great Apes

(2) (Winston Dictioary)

(٢) ومن معانيه

بالفرنسية : غول - .. Gorille انظر : 1976 (Almanhal)

(٣) د. صادق الهلالي (فسلجة الجهاز العصبي) بغداد ١٩٧٢ ج٢ ص ٥٩٠

ومثل هذا قضية الخوف .. فالطفل لايخاف من الحية مثلاً عندما يراها لأول مرة .. بل يمكن ان نضيف ان الطفل – حتى لو سبق له ان رأى الحية مرارا ولكنه لم يتعلم ان يخاف منها – فهو يستظرفها ، ويلعب معها ..

يرينا (البروفسور : من) صورتين لطفلة تلعب مع الحية في الصورة اليسرى وعمرها (١٤) شهراً .. وهي في الصورة اليمنى في عمر ست سنوات . تلاعب الحية ايضا .. يقول (من) ان هواية هذه الطفلة مع الحيات قد بدأت وهي رضيعة عمرها ستة شهور ، وظلت مولعة بهذه الهواية (تربية الحيات) حتى الـ (١٢) سنة من العمر .. وكانت التي عندها حينذاك بطول (٧) أقدام ..

يجب ان يكون اهل الطفلة لايخافون الثعابين . والا لخافوا هم ... ولانتقل خوفهم اليها ..

يقول (شيفر) وزميلاه : فيما عدا الخوف من الغرباء او الحوادث غير ... فان (الخوف) لدى الرضيع بصورة عامة نادر حدوثه ...[٥]

يتضح هنا مايفعله المربون بالطفل .. فهم الذين يخلقون له عقدة الخوف سواء من الحية ، او من العصا ، او من المعلم والطبيب او (الشرطي) .. او الخوف حتى من الخوف نفسه .. وربما سنرى مؤثرات الخوف على الشخصية والذكاء في فصول قادمة .. والعجائز كن سابقاً يخفن الغول والطنطل و (فريج الاقرع) فينقلن ذلك الخوف الى احفادهن ..

هذا يؤيد ، الى حد ما ، فكرة ان الانسان يولد بصفحة بيضاء (كما يقولون) .. وكلما مرَّ الزمن كثرت الخبرات والذكريات والعقد النفسية ..

---

(4) N. Munn (Psychology - The Fundamentals...) U.S.A. - 1946, P.217

(5) Shaffer & Co - authors (Psychology) N. Y. 1940, P.141



عمرها ٦ سنوات



عمرها ١٤ شهرا

وقد رأى (الغزالي) مايشبه هذا نوعا حين قال : كما ان البدن في الابتداء لايخلق كاملاً وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء ؛ فكذلك (النفس) تخلق ناقصة ، قابلة للكمال ، وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم ... (٦)

حتى ان بعض الباحثين في علم النفس المعاصر يذهبون الى القول بأن القرد يكون أذكى من الطفل البشري في عمر الرضاعة .. فقد استنتج (هارلو وسوومي -- سنة ١٩٧٥) ان تطور القرود فكرياً يشبه تطور البشر في الذكاء .. عدا ان القرود بعد الولادة يزداد فكرها بصورة اسرع من البشر باربعة اضعاف .. وبعد هذه الفترة يتخلف تفكيرها .. يقول الباحثان : «لقد اتضح ان القرد في السنة الاولى من عمره اذكى من الطفل البشري في نفس العمر بمقدار مرتين .. ولكن الطفل البشري في عمر (٦) سنوات يصبح ذكاؤه بقدر ضعف ذكاء القرد في السادسة ... (٧) .

نظرة الى ابن عم الانسان

الرأي المقبول عموماً عن الذكاء في الانسان هو انه تطور بسبب متطلبات السكن على الارض بشكل مجموعات كبيرة نسبياً ..

ومن المعقول ، كما يبدو ، أن نفترض ان اجداد القرد (الشمبانزي والغوريلا) عاشوا لفترة من الزمن حياة مشابهة لحياة اجدادنا السحيقين في القدم .. ولم يتحولوا الى طراز آخر من العيش ، الا بعد تحقيق درجة من الرقي الفكري اعلى من الحياة السابقة .. اذ تحولوا الى طريقة حياة الغابة ... (٨)

هذه التغيرات الحياتية (وتدعى نظرية : التحول البشري) .. قد تحول بموجبها البشر من متوحشين ، الى صيادين .. الى رعاة .. الى مزارعين .. ثم بنوا البيوت والمدن ..

---

(٦) الغزالي (احياء العلوم) ج٣ ص ٨٤

(7) Rubin & McNeil (... Being Human) P. 284 Quoting : **Harlow & Suomi.**

(8) Stenhause (Evolution of Intelligence) P. 130 - 31

ليس من الضروري طبعاً ان يكون مجتمع القرود يشبه في تقاليده المجتمعات البشرية ، ولاعجب في ذلك ، فالبشر انفسهم يختلفون في تقاليدهم وعاداتهم بين مجموعة واخرى ..

« .. وللقرود مجالس مشهورة تجتمع فيها كثيراً ، يسمع منها حس همهمة . والاناث معتزلات عن الذكور ، وللذكور منها غيرة شديدة على الاناث ..» ..[٩]

والقصص في هذا المجال تروى منسوبة الى بعض اهل مدينة (صنعاء) ..

ويروي (الدميري) أن اهل (اليمن) يعلمون القرود القيام ببعض الاعمال «حتى ان القصاب او البقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه !..» « .. ويعلم السرقة فيسرق !»[١٠]

تتبعت الباحثة (جين تيز) حياة القرود التي تسكن المعابد القديمة في النيبال ودرست طبائعهم .. ومن الملاحظات التي سجلتها عن عاداتهم ! ان الانثى الحامل عندما يحين وقت الولادة ، يحفها الذكور من كل جانب ، ويقدمون لها العناية اللازمة ؛ خلافاً لما هو معتاد بين البشر..

يختلف اسلوب حياة «هؤلاء» القرود عن البشر ، كذلك ، في أنهم يتمتعون بوقت الراحة والاسترخاء والتنظيف والتجميل في فترة الصباح ؛ بينما يكون النشاط والعمل من حصة فترة مابعد الظهر والعصر..[١١]

وبعد (٨) سنوات دراسة قامت بها (بيروتة كالديكاس) المختصة بالـ (انثروبولوجي) تتبعت عن كثب ، طريقة حياة القرود البرتقالية (اللون) الضخمة الموجودة في (بورنيو – اندونيسيا) .. في الوقت نفسه جعلت ابنها ينشأ ويترعرع في طفولته المبكرة بين تلك القرود.. تحدثت بعد ذلك عن غرائز تلك المخلوقات .. ونوهت بصورة خاصة عن قدرتها الكبيرة على تعلم لغة الاشارات ...[١٢]

---

(٩) زكريا بن محمد القزويني (عجائب المخلوقات – وغرائب الموجودات) القاهرة ، ص ٢٩٠

(١٠) الدميري (حياة الحيوان الكبرى) ج٢ ص ٤٢٨

(11) Jane Teas - Temple Monkeys of Nepal (National Geographic) April, 1980, P.584

(12) Virute Qaldikas (National Geogrphic) June 1980 . PP. 830 - 53

قد لانكون بعيدين عن الحقيقة اذا تصورنا ان اجدادنا البشر الاوائل لم يولدوا ولديهم معرفة في الكلام بلغة معينة .. ومن المنطقي ان يكونوا قد بدأوا يتفاهمون فيما بينهم أول الأمر بطريقة الاشارات .. واليوم ، كثيرون من البشر يتفاهمون بالاشارات التي تعلموها في مدارس «الصم والبكم» لوجود عطل عندهم في جهاز السمع وجهاز الكلام .

قضية قدرة القرود على تعلم لغة الاشارات ربما هي من الاسباب التي زادت من حماسة العلماء والباحثين في محاولة اثبات القرابة بيننا وبين «هؤلاء» القرود بالطرق العلمية .. ولكن الاستاذ «ستنهاوس» يقول : ان طريقة القرد في حل المشكلة التي تواجهه هي التي جعلت الآراء تتفق على أنه اقرب أقرباء الانسان ..

على سبيل المثال : اذا علق عثق من الموز بحبل يتدلى من السقف .. وكان الموز على ارتفاع لايستطيع القرد الوصول اليه ، وفي الغرفة لاتوجد غير بعض الصناديق .. فانه يحل المشكلة بجمع تلك الصناديق ، ثم بوضعها فوق بعضها بحيث يستطيع التسلق عليها والوصول الى الفاكهة ...[١٣]

بعد اجراء تعديل على هذه التجربة .. اذ ادخل الحبل في حلقة حديدية معلقة على مسمار في الحائط يعترف (كوهلر) ان الشمبانزي (المدعو : سلطان) لم يجد افضل الحلول .. كان الافضل ان يسحب الحلقة من على المسمار ، بدل محاولته قطع الحبل ، او سحب السلة اليه ..

السؤال الذي تفرضه المناسبة : كم من البشر يقطعون الحبل بدل اخراج الحلقة من على المسمار ..؟ وكم من البشر يجدون افضل الحلول ..؟ كثير من الناس في العالم الثالث وبعض بلدان أوربا ، حين يعبرون الشارع من جانبيه بصورة جماعية ، لايتبعون افضل الحلول (وهو السير دائماً في الجانب الأيمن فيصطدمون او يعرقل بعضهم بعضاً) ..

---

(13) Stenhouse (The Evolution of Intelligence) P. 132 - 4

ان ضيق المجال في هذا الكتاب يجعل من الافضل الاختصار في وصف الاسلوب المختبري الذي استخدم في تعليم القرود او شرح طرق التدريس التي اتبعت ووسائل الايضاح التي استعملت ، وما لاقى الباحثون او المدربات والمدربون من متاعب ..

لقد جمع الباحث (بريماك) (من جامعة بنسلفانيا) التجارب والمحاولات التي أجراها العلماء لتعليم «هؤلاء» القرود فقلبوا المختبر الى مدرسة لتعليم القراءة .. على أساس أن اللغة هي التي تميز البشر عن الحيوانات . فكانت النتيجة أنه انتهى الى تأليف كتاب بلغت صفحاته (٣٧٠) صفحة ، أطلق عليه اسم : «الذكاء .. عند القرد والانسان) ... [١٤]

لهذا فان الضرورة تقتضي الاكتفاء باختيار النماذج البارزة والواضحة في هذا الموضوع .. وللضرورة أحكام – حسبما تقول العبارة المأثورة ..

الطلبة (القرود) .. ووضعهم النفسي :

«سارة» و «غصي» طفلتان (من فصيلة الشمبانزي) .. عند وصولها المطار كانت «سارة» نشطة (انطلاقية) .. اذ انها قفزت من القفص ؛ بينما ظلت صاحبتها مستلقية على ظهرها وممسكة بطرف قطعة قماش ..

وخلال التدريب كانت «سارة» تتقبل التوجيهات وتتعلم كلمتين فأكثر ؛ بينما ظلت «غصي» لاتتقبل شيئاً .. وقد عرضت على استشاري بيطري فلم يجد في جسمها أي مرض عضوي أو نقص .. ولكنه قال للقائم بالدراسة : انك لاتدري كيف يجلبون القرد الرضيع من أفريقيا .. يقتلون الأم رمياً بالرصاص لكي يأخذوا الرضيع منها .. ان «غصي» مصابة بالمرض النفسي : «الانفصال عن الام» ... [١٥]

(14) David Premack , U . of Pennsylvania , (Intelligence ... in Ape & Man) New Jersey 1976

(15) Premack (OP. cit .) P. 21 - 23

و «اليزابيث» هي أيضا جيء بها من أفريقيا وعمرها اقل من عام . ولكنها أهديت الى المختبر (أو المدرسة) وعمرها ثلاثة اعوام .. كانت حين ترى يدها متدلية امام بصرها تعضها .. وبذلك كانت خطرة على نفسها وعلى المدربين .. وقد عضت أحد المدربين من وجهه مرة وجرحته جرحاً اقتضى له (٤٦) نفذة لخياطة ذلك الجرح ..

يبدو ان الفترة بين مجيئها من أفريقيا (وعمرها أقل من سنة) وحتى اهدائها الى المختبر (وعمرها ثلاث سنوات) ربما سببت لها مرض «الوحدة» .

أما القرد (وولنات) فقد علموا بأن التاجر (المحترف) الذي اعطاهم إياه كان يضربه بقضيب من الرصاص لكي يؤدبه .. والمشكلة انهم :

١ – لايعرفون كم مرة كان يضرب بذلك القضيب .

٢ – ولايدرون إن كانت تلك العقوبة هي التي جعلته لايلعب بالاشياء أو اللُعب التي حوله ..

من جهة ثانية فان «سارة» خلال تلقيها الدروس التي استمرت (١٦) شهراً (من شباط ١٩٦٩ – الى ايار ١٩٧٠) ماكانت تضرب الا أحياناً لمنعها من العض أو تمزيق ثياب المدرب .. وفي هذه المناسبات القليلة كان الضارب يؤذي يده أكثر مما يؤذي القردة (سارة) لأنها لايظهر عليها الاحساس بالألم كما نفعل نحن ... (١٧)

هل هذا من جملة العوامل التي ساعدت على صقل مواهب «سارة» وجعلها الاذكى؟ فهناك دلائل تشير الى امتيازها في الذكاء .. مثلاً ، عندما وضع في فمها قطعة من تفاحة – وهي معصوبة العينين – ثم فتحت عينيها وعرضت أمامها أربعة أنواع من الفواكه .. فأنها استطاعت معرفة :

(أ) نوع الفاكهة التي ذاقتها قبل قليل . (أي معرفة الكل من الجزء) .

(ب) كما استطاعت اختيار الاسم (او الرمز) الصحيح الذي يدل على التفاحة من بين أربعة أسماء .. وكانت نسبة الاجابة الصحيحة عندها (٨٣٪) .

---

(16) (Ibid) P. 27

(١٧) لم تبدأ بالتدريبات (لسارة مثلا) الا بين الخامسة والسادسة من العمر..

استناداً الى هذا التمييز بين الفواكه المختلفة ، والذي يعتمد على حاستي «الذوق والشم» فقد اعتبرت القردة (سارة) أذكى من بقية الطلبة .. (لأن ذلك نوع من اختبار الذاكرة) ...[١٨]

أما القرد (وولنات) (المضروب بقضيب الرصاص) فهو في الاختبارات التي قيس بها ذكاؤه لم يستطع معرفة نوع الفاكهة التي سبق ان تذوقها ..

فهل يمكن الاستنتاج من هذا أن عقوبة الضرب القاسية تؤثر على سلامة عمل الحواس فتبلدها ...؟

وما رأي القارئ ببعض البدائيين الذين يضعون للرضيع – بعد ولادته – بعض «نفط الوقود» على جلدة رأسه الرقيقة وعلى انفه في سبيل أن تتكون لديه مناعة ضد الروائح والعطور ؟.. وما اكثر الذين اصيبوا بسبب ذلك بفقدان حاسة الشم .. في حين ان البعض منهم فقد حاسة البصر...!

أما بالنسبة لحاسة البصر عند القرود فان (غالوب – سنة ١٩٧٠) ..[١٩] أعطانا رأيه بالعبارة التالية : «ان الشمبانزي عندما ينظر الى المرآة يكون رد فعله للصورة المنعكسة على المرآة بشكل يجعلنا نحسب أنه يتعرف على نفسه ..» ..[٢٠]

تعليم القراءة

بعد اكتشاف الباحثين ان القرد يستطيع ان يميز التفاحة من بين اربع فواكه مختلفة ، راحوا الى تعليمه الاسماء .. طبعاً ليس من المعقول أن يعطوه اسماً يتكون من حروف ، لأن الحروف عادة ترمز لما ينطقه البشر ، والقرد لايتمكن من استخراج الاصوات البشرية .. فابتكروا رسوماً تمثل اشكالاً هندسية تختلف بالحافات

(18) Premack (OP. Cit .) P .299

(19) G . Gallup

(20) Quoted by Premack (Op . Cit) P .7

والاضلاع .. أما لأسماء العلم – للقرود (الطلبة) وللبشر (المدربين والمدربات) فكانت اكبر حجماً من أجل الوضوح ولكي يسهل ربطها بخيط وتعليقها في رقاب الطلبة والمدربين مثل القلادة ...(٢١)

مما يلاحظ على الاشكال (الهندسية) التي تنوب عن الكلمات أن بعضها يعطي فكرة عن المعنى ، والبعض الآخر لاصلة له بالمعنى المقصود ..

فقد نفهم من هذا الشكل :  معنى الكثرة .. أو مجموعة اشياء .. او على الاقل توحي بأنها مجموعة الواح (او تشبه القرود) المتماسكة مع بعضها .. ولهذا قد يكون اختيارها لتنوب كلمة «جميع» اختياراً ملائماً للفكرة التعليمية ..

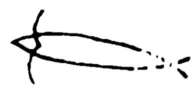
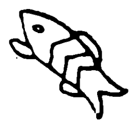
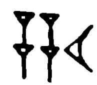
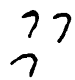
تخبرنا الآثار الحضارية القديمة بان كتابة البشر القدامى (اجدادنا الأوائل) كانت رسوماً توحي بالمعنى باشكال تقريبية للسمكة والطير .. الخ . ثم شذبت فتطورت الى كتابة مسمارية او هيروغليفية ...(٢٢)

هنا صور توضيحية بسيطة للتطور الذي طرأ على كتابة الصور .. حسبما توصل اليها «مورهاوس» .

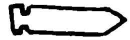
---

(21) (Ibid) P. 21

(22) CF: Meorhouse , A .C. (Writinig and The Alphabet) London 1946 , PP 28 - 29

	البابلية	المصرية	الصينية	شمال اميركا
السمكة				
تطور كتابتها فيما بعد				

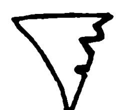
ولكن لم يحصل مثل هذا التطور الكتابي لدى الأميركيين (الاصليين) .. [٢٣] ربما ينبغي ان تكون للقرود مثل هذه البداية البشرية إذا أريد لهم أن يتطوروا مثل البشر..

وعلى هذا يصبح اختيار الكلمة :  للفعل (ارسم) اختياراً مفهوماً ..

كلمة  ربما تشير الى فعل القطع (والقص) ..

كما أن كلمة  تشبه قطعة من الكعك - وان كان الباحث (بريماك) يقول انها تشبه أول حرف من كلمة كعك (او بسكت) في الانكليزية [٢٤] .... لأن كونها تشبه حرفا منطوقاً لايعني بالنسبة للقرود شيئاً ..

ولكن ماالذي يوحي به هذا الشكل البيضوي (او الهليلجي)  ..؟ ولماذا يكون هذا الشكل (المثلث المتساوي الاضلاع)  معناه

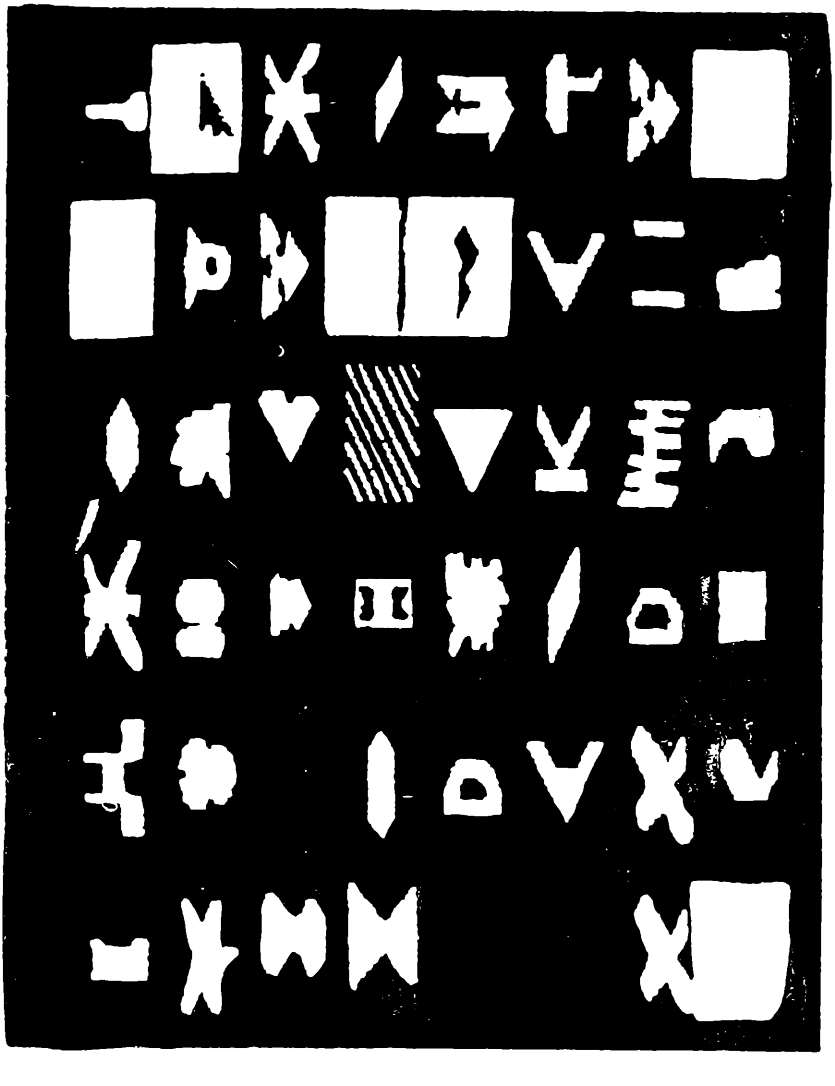
مساحة ؟.. وهذا  احمر؟ يوضح الباحث هذه المسألة بقوله : «لقد تحاشينا ان يكون اسم اللون يحمل نفس اللون ، او اسم المربع يحمل شكل المربع .. للتخلص من الشبه ، وذلك في محاولة للاعتماد على الرمزية ..» [٢٥]

---

(23) Meorhouse (OP . CIT .) P .8

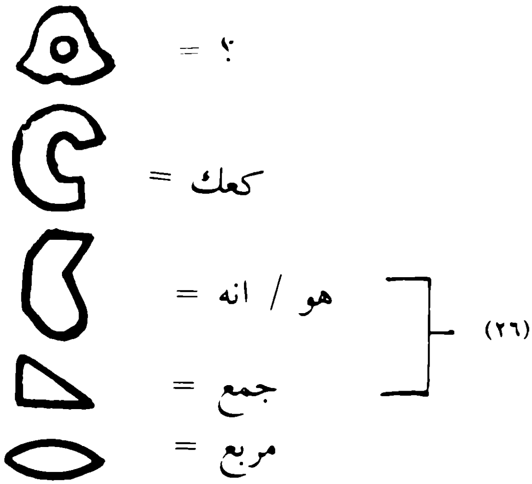
(24) Crackers , See : Premack (OP. Cit .) PP .253 & 270 , ... (or Cookies)

(25) (Ibid) P .44



وبعد التدريب على تمييز (١٣٠) كلمة من هذه الانواع .. جاءت الخطوة الاصعب وهي تكوين جملة ..

الى جانب هذا الكلام جملة في لغة القرود التي تعلموها في مدرستهم .. وهي بصيغة سؤال ، ومكتوبة من فوق الى تحت - على طريقة الكتابة القديمة الاستعمال التي بقيت مع الشعب الصيني ..



(٢٦) يقصد الباحث من هذين الشكلين معا الكلمة الانكليزية (are) واذا حذف المثلث (القائم الزاوية) يصبح المقصد الكلمة (is).

See: Premack (OP. cit) P .271

انصافاً ، بوضع علامة الإستفهام في بداية الجملة اصبحت لغة القرود أسهل للقراءة .. فالعبارات البشرية حين لاتبتدئ باسم الاستفهام أحياناً يصعب على قارئها ان يعرف منذ البداية انها سؤال .. حتى يرى العلامة الاستفهامية (؟) في آخرها . او يساعده السياق على ذلك ..

من الكتب التي تعنى بتعليم الالقاء (في الخطابة . والتمثيل) ماتضع علامة الاستفهام في بداية العبارة لتساعد الملقي على النطق الصحيح .. (٢٧)

المهم ، ان القردة (سارة) كانت اذكى من بقية (الطلبة) .. فهي لاتتعلم فقط ، وانما تبتكر أحياناً بعض المبادرات .. فمن المواقف الظريفة عنها ان المدربة (ماري) حين وضعت على اللوحة عبارة : «سارة اعط تفاحة ماري» فان (سارة) لم تقم بالمطلوب فتعطيها التفاحة ، بل راحت الى الشكل (البلاستك) الذي يعني اسم سارة فوضعته بشدة على التفاحة .. وكأنها تريد ان تصيح قائلة : انها لي ..! انها تفاحتي ..!.. (٢٨)

ولكن ، لماذا لم تمسك بالتفاحة وتسحبها الى صدرها .. كما يفعل أطفال البشر؟.. فهذا شيئ لايستطيع الباحث أن يحزره ..

يتشكك بعض الكتاب (مثلا : براون – ١٩٧٣) معتقداً أن ماتقوم به القردة (سارة) في الحقيقة لم يكن لغة ، او جملاً مستندة على قواعد عميقة ، بل هي نوع من سلوك في اللعب يشبه اللغة .. (٢٩)

ولكن ، أليست اللغة من اساسها نوعاً من اللعب ..؟ ربط المعنى برمز .. او الاستعاضة عن الصوت بصورة ..

ويروي (بريماك) عن قردة (اسمها فيكي) . أنها حين ترغب بركوب السيارة . تروح الى صاحب البيت (مربيها) فتريه صورة السيارة .. وحينما تريد شرب الشاي . تأتي بصورة كأس مليئ بالشاي المثلج .. (٣٠)

(27) CP : William Freeman (Writing for Pleasure and Profit) London - 1959 , P.20

(28) Premack (op. cit) P.30

(29) (Ibid) P. 18

(30) Hays & Nissen , 1971 .. Quoted by : Premack (Op. cit) P . 346

ولكن الانسان - حتى الاطرش ، مثلاً - يجرب الاشارات وكأنه يدير مقود السيارة .. أو يستعمل صوته لتقليد محرك السيارة .. او يمثل شرب الشاي ..

مهما يكن من أمر ، فان التجارب الكثيرة التي تدور حوّل ذكاء الحيوانات . تطلعنا على أن هذه الحيوانات فيها تدرج طبقي في الذكاء .. ويبدو أن اعلاها في سلم الرقي هو القرد الذي يقترب من الانسان .

هذه مقارنة ظريفة بين أنواع مختلفة من الأحياء ، وكيف يظهر ذكاؤها في صيد النمل الابيض في أفريقيا ، وهي : آكل النمل (المسمى السعدان - او البابون) . والقرد ، والانسان .. (٣١)

ان فن (الشمبانزي) في صيد النمل الابيض كالتكنولوجيا المستعملة في صيد السمك :

١) يفتش عن قصبة (من التبن) طويلة ..
٢) يأتي الى واحد من بيوت النمل التي يصطاد منها غذاءه ، فيدفع القصبة الى داخله ويحركها قليلاً .. ثم بعد فترة ، يسحبها الى الخارج مليئة بالنمل ..

و (آكل النمل) يراقب القرد في صيده ، ويأكل مايتركه من ذلك الصيد .. ولكنه لايتعلم من القرد طريقته .. انه ينتظر سقوط المطر الذي يسبب خروج افواج النمل من مسكنها .. فيصيدها وهي هاربة ..

أما (الانسان) فلا يستخدم تكنولوجيا قصبة التبن ، ولاينتظر هطول المطر .. ولكنه يضرب بالعصا على جوانب التل الذي في باطنه يسكن النمل .. أو يصنع اصواتاً تشبه زخ المطر .. فتظن الحشرات ان المطر يتساقط ، فتخرج. يختلف البشر هنا عن (آكل النمل) الذي يظل في صيده تحت رحمة المطر .. ان الانسان يمثل هطول المطر .

---

(٣١) تأكل بعض القبائل هذا النمل في بعض المناطق .. كما كان الناس يأكلون الجراد الصحراوي) لأنه غذاء جيد يشوى يتفوق على الروبيان في لذته .. وقد سبق لكاتب السطور أن ذاقه وتلذذ بأكله..

ذكاء الانسان . هذا . هو في استطاعته ان يضع نفسه مكان تلك الحشرات فيتصور سلوكها .. وهذا هو الذكاء البشري .. الفليس هذا مايفعله الممثل ؟ (على المسرح أو في السينما) .. يتصور شخصية الانسان الآخر في الرواية فيقلدها (او يضع نفسه بمكانها ...)؟

ضحية الصيد (أو النمل الابيض) هي الطبقة المأكولة (او المسحوقة) ويقع فريسة بيد الانواع الثلاثة الاخرى ، وتصبح غذاء لها بسبب انعدام الذكاء الذي يميز بين صوت وصوت . وبين حركة وحركة ..

أما الحساب ..

يرى الباحث أن تعليم العد للشمبانزي لم يكلل بالنجاح ... يبدو ان العد ، حتى في مراحله الاولية . يشكل تحدياً أصعب مما تشكله اللغة في مراحلها الأولى .. ربما السبب في هذا ان الرمزية موجودة في التعداد اكثر من وجودها في اللغة ..

الانسان يعلم مما حوله .. وقد يتعلم بنفسه من غير أن يعلمه احد .. ولكن مع هذا نجد من يتعلم اكثر من غيره .. ونجد من هو اذكى من اصحابه ..

الفصل السادس

لم لانكون جميعا اذكياء...؟

فروق فردية

بين جيل واخر

اثر البيئة

جذور الماضي

بين السريعين والبطيئين

مجال التروي

الاختمار بالتأخير

بين الروتين والفعل السريع

لم لانكون جميعا اذكياء ...؟

فروق فردية :

هل الفروق الموجودة بين ذكاء القرود وذكاء البشر ، موجود مثلها بين البشر انفسهم ، افرادا وجماعات ..؟ اهناك مايميز ابن المدينة على ابن الريف ..؟. ام هناك امتياز للغني على الفقير ..؟ .. ماسبب هذه الفجوة الموجودة بين جيل وجيل؟ .. وهل هنالك اختلاف حقا بين الرجل والمرأة في الذكاء؟ .. وهل في الذكاء طبقية او عنصرية ؟ ..

الدكتور «دونسيل» ، مؤلف كتاب «علم النفس الفلسفي» ، يرى ان هذه الاختلافات في الذكاء تعزى الى عوامل بيئية .. ولانه من المؤمنين بأن الذكاء هو مجموعة قابليات ، لذا نراه يسأل : لم لايكون الجميع اذكياء؟ ثم يجيب على ذلك قائلا : لايكون الجميع متساوين لسببين : (١) لان من الصعب ان تتجمع كل القابليات في الفرد الواحد ،.وقد سخر الشاعر ممن يدعي انه يملك القابليات جميعها حين قال : ليس على الله بمستبعد

ان يجمع العالم في واحد

(٢) اذا قويت قابلية ما بمعزل عن القابليات الاخرى ، لان الفرد يميل لهذه القابلية . فان ثمن ذلك يكون التخلي عن القابليات الاخرى – او بعضها والخسارة تنعكس على جانب من جوانب الذكاء ..[١] .

مثلا ، ان الذي يملك قابلية(الخيال والتصور)مع قابلية(الموازنة). ولكن قابليته في (التركيز)ضعيفة ، يصبح من نوع صاحب «السبع صنايع .. والبخت ضايع»[٢] وذلك لانه لايركز .. ولهذا فهو لايجيد .. اما الذي يمتلك : قابلية التركيز + قابلية الموازنة – ولكن دون تصور وخيال ، فانه يصبح متتبعا وطالب علم .. ولكنه يفتقر الى قدرة الابداع والخلق ..

---

(1) Donceel , G.F. (Philosophical Psychology) N. Y. 1965 , PP. 210 - 12

(٢) يوازي المثل الشائع في الانكليزية : "Jack of all trades' Master of none."

بين جيل وآخر :

ويرى المختصان في صلة علم النفس بالطب (موبراي وروجر) ان الفروق بين البشر في الذكاء ، لايمكن ان تتخلص من عوامل بيئية معينة : الحضارة . درجة المدنية ، طرق التربية .. ومستوياتها القياسية .. وتظهر اعراض هذه الفروق بوضوح في الاختلاف الموجود بين جيل وآخر .. (٣) .

لاشك في ان الجيل الاقدم يضع بصماته على الاجيال التي تعقبه .. ولكن هذا الجيل اذا ما إندثر دون ان يخلف شيئا تذكره به الاجيال القادمة ، فان ذكره يندثر بعد زواله بصورة اسرع ..

على سبيل المثال : قبيلة (اليانا) الاصلية في (كاليفورنيا)، قد ذبح البيض جميع افرادها .. ولكن في سنة (١٩٠٠) عثروا على احد افرادها – واسمه (ايشي) وهو ينتظر الموت بعد بقائه وحيدا على قيد الحياة .. ولم تكن لديه اية تربية سابقة تسمح له ان يأخذ مكانا له بين البيض .. فكان يحتفظ بهويته كهندي من هنود (اليانا) ، ويبين للطلبة في قسم علم الاجناس (الانثروبولوجي) كيف كان رجال اليانا يصنعون رؤوس الحراب .. تقول (مارغريت ميد) : ان تربيته الاولى ، ، مضافة الى تصلبه وتجربته الدامية طيلة عشر سنوات في الخضوع لشراسة البيض ، لم تترك له اية امكانية لتغيير انتمائه .

كان نساء الهنود الحمر في (كاليفورنيا) لهن لغة تختلف عن لغة الرجال (في القديم) ولكن الهندي (ايشي) ، كما يبدو ، لايعرف الا القليل عن اسلافه .. (٤)

ولكي تبرهن على ان الجيل السابق يترك اثره على الجيل اللاحق ، تضرب (ميد) مثلا بشعوب (البيسيفيك) وان افراد (العرابيش) هناك كانت حركاتهم بشكل يعكس الماضي : كطريقة التقاط بعض الاشياء بابهام القدم ، او انتزاع ورق الشجر بالاسنان لكي يصنعوا منه الحصران .. (٥)

---

(3) Mowbray & Rodger (Psychology in Relation to Medicine) P . 233

(٤) ماركريت ميد (الثقافة والالتزام) ترجمة : خير الدين عبد الصمد ، دمشق ١٩٧٦ ، ص ٣٤ و ٣٥

(٥) (المصدر السابق) ص ٢٧

اثر البيئة :

ان عوامل البيئة قد تؤثر تأثيرا طيبا في احد الظروف .. وقد يكون تأثيرها غير طيب في ظرف آخر .. فالموسيقى ، مثلا ، هي من عوامل البيئة المؤثرة ، ولكنها لاتؤثر دائما بنفس الاسلوب .. فهي حسبما يرى (شولتز) : تؤثر بصورة ايجابية فيما يخص الاعمال التي لاتحتاج الى تركيز ذهني ، كالتي تسمى بالاعمال الرتيبة (لصق طوابع البريد على ظروف الرسائل ، مثلا ..) .

وهذه الموسيقى نفسها تؤثر سلبيا في الاعمال الفكرية التي تتطلب تركيز الحواس .. اضافة الى هذا الاختلاف حسب الظروف ، فهناك اختلاف بين الجيلين بالنسبة لنوع الموسيقى التي تطرب كل جيل منهما(٦) .

ومن المعروف ايضا ان الجيل الواحد كثيرا ماينقسم على نفسه بالنسبة للموسيقى .. فهؤلاء يفضلون «عبد الوهاب» ، واولئك يفضلون «ام كلثوم» .. مثلما ينحاز محبو الالعاب الرياضية الى هذا الفريق او ذاك .. فهؤلاء مع منتخب «الزوراء» مثلا ، واولئك مع منتخب «الجيش» (وفي مصر : الاهلي والزمالك) .

انه يشبه الخلاف الذي كان على اشده بين اطفال المدينة الواحدة ، بحيث يؤدي سابقا الى اثارة الحزازات والتحديات والحروب بين محلة واخرى ..

جذور الماضي .

اذا اردت ان تعرف ذكاء الفرد فانظر الى سلوكه ، لان الذكاء ينعكس على السلوك .. وانما يوجد اختلاف بين سلوك هذا الفرد وسلوك غيره ، لان لكل واحد ذكرياته الخاصة ، ويتحرك في ضوء تلك الذكريات .. وجذور الماضي تختلف بين شخص وآخر .. تقول الكاتبة (هندركس) : «ان المشاعر والاحساسات الحالية اقل اثرا من المشاعر التي لها جذور في الماضي .. والتمييز بينهما (بين الحاضر والماضي) هو الذي يساعد على حل المشكلة ..»(٧) .

---

(6) Schultz , Duane (Psychology in Use) N.Y. 1979 P

(7) Hendricks , Gay (How to Love)N.J. 1978 , P.27 - 28

فشكلة : (عادت حليمه .. لعادتها القديمه) .. و (التاريخ يعيد نفسه) .. و (لماذا) يتكرر حدوث هذا لي دائما ..؟) انما هي مشكلة لها جذور قديمة .. كما ان «يوم البؤس» او «النحس» ظاهرة للمشاعر (او الاخفاقات) المكبوتة .

اما الكتّاب الذين يطعنون العناصر البشرية المتخلفة بأن تخلفها ناجم عن الفروق العنصرية ، فهؤلاء ، حتى عند اعترافهم بعوامل البيئة ، يقولون عن هذه الفروق : ان هي الا حصيلة الآف السنين ، مصحوبة بضغوط مختلفة – خصوصا بالنسبة للخصائص التي لها صلة بالانتقال الحضاري ، كالذكاء – انهم يقولون مايردده «جنسن» : «يبدو ، ومن المحتمل ، ان بعض التكيفات الحضارية للمجموعة البشرية في تاريخها القديم ، قد يكون لها تأثير (جيني) يعمل على ايجاد الاختلاف العنصري – من حيث المعدل في قابلية التعلم ، والانماط في العملية المنهجية»[٨]

هنا من الحق ان نسأل : وقبل آلاف السنين ، يوم كانت العناصر المتقدمة الآن في حالة تخلف .. والغنية في حالة فقر .. كيف حصلت الطفرة؟ .. هل استيقظ ذكاء هذه العناصر فجأة وأُغمي على ذكاء اصحاب الحضارات العريقة ومؤسسيها ..؟ هل ماتت قابلية الذكاء عندهم (جينياً)؟ !

لقد اوجز (يونغ) قضية الاختلاف بقوله : ان جسم الانسان ، اذا ماحرم من مادة كيمياوية من مواده التي يتركب منها ، يحصل فيه نوع من الجوع لتلك المادة .. وكذلك الحاجات النفسية ، وقد يصعب حصر عددها لانها قد تتكون بسبب الحرمان من اي نوع من انواع الاشباع النفسي – كالحرمان من اشباع العلاقات الاجتماعية بصورة مرضية ..[٩]

---

(8) Spublera & Lindzey ., See : Arthur R , Gensen (Educatability and Group Differences) London 1973, P. 159

(9) Young , quoted by: Maslow , in (.. Psychology of Adjustment) ed. by Gorlow & Katkovsky , U.S.A. - 1959 , P. 204

بين السريعين والبطيئين :

بين الناس من هو مسرع في المشي ، في الكلام ، في سياقة السيارة ، بل في كل عمل يقوم به .. واذا اردت ان تتدخل وتهدئ من ايقاعه السريع ، يعترض عليك محتجا بقوله : رجاء لاتعطلني !.. بينما الاخر هادئ ، يتأنى ، ولايلتذ بعمل الا اذا تأنى به وأبطأ .. حتى بالأكل ، يتناول لقمة صغيرة ، ويظل ينقلها بين اسنانه من جهة لاخرى ، وكأنه يدغدغها .. فهل هناك فرق في الذكاء بين الاثنين بسبب نوعية الايقاع ..؟ ..

السرعة (في السلوك) ، حسب تعريف علم النفس ، هي ردود فعل (او استجابات) سريعة .. و «سرعة البديهة» مثلا ، هي رد فعل مفاجئ .. ويرى «كاننغهام» انها تعتمد (آ) على سعة مجال الانتباه ، بما يكفي لقبول عدد من الاجزاء التي تتألف منها التراكيب القديمة ، اضافة الى التركيب الجديد (غير المتوقع في الذاكرة).. (ب) ولكي يستجيب بسرعة ، يجب على الانسان ان يتعلم بسرعة .. والشيئ الذي يتطلبه التعلم هو : ان يكون التركيب القديم (في الذاكرة) والتركيب الجديد (غير المتوقع) قادرين على ان يتجاوبا (وينعكس احدهما على الاخر) عفويا وبصورة آلية ..[10] .

اما اذا لم يكن مجال الانتباه بالسعة الكافية التي تسمح بالتجاوب بين القديم والجديد ، فاذ ذاك يتعطل النشاط بصورة عامة ..

لكن الاستاذ (جورج ميد) في جامعة (شيكاغو) يرى ان انتباه الانسان يحتاج الى مايثيره .. كالعطر ، او الضوء ، او الصوت .. ومن بين المثيرات للانتباه هي : اللغة .. لانها تعطينا معلومات عن طريق الصوت او الصورة ..[11] (او كليهما) ..

---

(10) Cunningham , Michael (Intelligence ...) P.125

(11) Mead , George (Mind , Self & Society - From the Standpoint of a Social Behaviorist) U.S.A. - 1959 , P.95

اذن من يتبرع باعطائنا المعلومات يكون لديه عامل هام من عوامل الاثارة ، كما يمتلك امكانية السيطرة علينا ، وبناء على هذا ، فان وكالات الانباء الدولية ، حينما تزود بالاخبار تربح في ناحيتين : اذ هي تبيع هذه الاخبار وتقبض ثمنها من ناحية ؛ ويكون في يدها عامل السيطرة على من توصل اليهم تلك الاخبار ، من ناحية ثانية ..

« .. وكلما كان عامل الاثارة للانتباه قوياً ، كان التأثير اشد بحيث يمنع التأثر بعوامل اخرى .. مثلا : العطرالغريب الرائحة ، او الضوء البراق بشدة ، قد يسيطر كليا على الحواس التي يتسلط عليها فيستولي على اي نشاط آخر ..»[١٢]

والاكثر من هذا ، ان الانسان الناقل لعامل الاثارة ، كالمعلومة (او المعنى في اللغة) ، هو نفسه يتأثر بها بسبب دخول المعنى في ذهنه .. مثلا : لو كنا في خطر . ونادانا شخص ليحذرنا من ذلك الخطر ، فانه نفسه لديه التوجه للقفز والهرب . وان لم يقم بذلك فعلا .. انه ليس في خطر ، ولكنه يمتلك عناصر الاستجابة في نفسه[١٣] .

وهذه العناصر نسميها :*(المعاني)*. وهي تشبه المعنى الذي يتضمنه المثل الشعبي . «واحد لحيته طويله ؛ والاخر يقول تنغزني ..»

على هذا ، لايكون من الذكاء في شيئ ان نتسرع هنا .. بل الافضل هو التروي . لتقليب وجهات النظر قبل القيام بالعمل .. يقول (ميد) : «ان قابليتنا لتأخير الاستجابة تجعلنا نعيش المستقبل .. ونخطط لحياتنا بالنسبة لذلك المستقبل ..»[١٤]

Mead . G (loc. cit)

(13) (Ibid) P 96

(14) (Ibid) P.98 Fn.

الاختمار بالتأخير

لئن كانت هناك فكرة يرغب الفرد ان ينفذها ، ولكنه حائر في مدى صوابها وصلاحها ، وما اذا كانت ستزعج هذا الصديق او ذلك الزميل ، فيلزم والحالة هذه ان يتركها في الذهن لكي تختمر ، وليقلب وجوه الامر بشأنها كما يفعل المبدع بابداعاته . اذ كلما يمر الزمن ، يغير ويبدل حتى يؤدي به التغيير الى الوجه الابداعي الافضل(*) .

لاشك ان طريقة التروي والانتظار ستكشف من الخفايا (سلبيات او مزايا) مايجعله يقدم الفكرة بوجهها الصحيح ، وبالاسلوب الصحيح .. او ربما اخيرا سيظهر له ان تركها افضل .. فيحمد الله على ان الفكرة ظلت في ذهنه ولم تخرج الى حيز التنفيذ ، ولم يجهر بها ، وإلا لكان ندم اشد الندم ..

بين الروتين والفعل السريع

وفي الناس من يبطئ بسبب الالتزام بنهج معين في الحياة .. ان نظرته الى الحياة الصحيحة هي ان لايغير في هذه الحياة شيئا .. ولان سلوك هذا الانسان متميز ، ويمثل صنفا كبيرا من الناس ، لهذا يمكن القول انه من صنف «الوتيرة الواحدة» .. فاذا جلس في مقهى ، لايطيب له الجلوس على غير (تلك القنفه) او (ذلك الكرسي).. واذا دخل في مطعم فانه يشعر بالضيق اذا لم يجلس جنب (ذلك الشباك) او قرب (رائحة الطبيخ).. ومن يغير موضع سرير نومه ، يجعله يضيع او يأرق ، او لايعرف كيف ينام .

صحيح اننا ، بصورة عامة ، نشعر بارتياح اكثر عند لبس الحذاء القديم .. ولكن ، مع هذا ، «لكل جديد لذة» مهما صاحبته من متاعب التغيير ومخاوف المبادرة ..

(*) هذا ماكان يفعله الشاعر (زهير بن أبي سيلمى) بقصائده الشعرية التي يظل يعالج الواحدة منها عاما أو أكثر ، حتى سميت بعد ذلك بـ (الحوليات).

بالنسبة لاتجاهات سلوكهم : الذين يتطلبون الوتيرة الواحدة (الروتين) ، والذين يبتغون (الاجراء السريع)، فان التزام اولئك بـ (الروتين) وتمسكهم بـ «الوتيرة الواحدة» انما يدل على انهم يبحثون عن حياة «راكدة» لاتغيير فيها .. اما الآخرون الذين هم من صنف «الفعل السريع» و «التجديد والتنويع» فانهم في طلب «المغامرة» ومواقف التحدي .. الفرق بين الصنفين هو في النظرة الخاصة لأسلوب العيش .. وطرق الاستجابة الى فرص الحياة[١٥] .

فهل، ياترى، انتمى بعض الناس، الى صنف «الوتيرة الواحدة» بسبب خبرات قديمة مرت بهم ، فاصبحوا يريدون بقاء (القديم على قدمه)؟ ام الخوف من المجهول هو الذي جعلهم يؤمنون بالحكمة الشعبية الشائعة : «الشين التعرفه ... احسن من الزين الما تعرفه»؟

المهم ان الذين يبطئون بسبب التمسك بالوتيرة الواحدة يفوتهم الكثير من ... الحياة .. والحياة فرص من فاته خسرها . وفاته القطار ...

---

(15) Riessman . etal (Mental Health of the Poor) N.Y. 1964 , P. 155

الفصل السابع

المرأة والرجل

من المتفوق...؟

عام المرأة العالمي

لماذا البكاء عند النساء

الغرائب في سلوك المرأة

الحواجز غير المرئية

من المتفوق...؟

لو تحققت المساواة العامة..لو كان كل شيء لدى المرأة يساوي كل شيء لدى الرجل..فما الذي يحدث..لابد أن ينمحي إذ ذاك أحد الجنسين، ويبقى جنس واحد..يصبح الكل بلحى وشوارب مثلا..!

أما لو حدثت المساواة في العلاقات فقط، فهل يبقى شيء اسمه: «الستات أولا» أو« الأم مدرسة»[1]؟..وهل يظل هناك مجال للاستشهاد برأي أحد المفكرين، إذ قال:

« الرجل الذي يتراجع عن رأي له، حين يخطىء، رجل شجاع..أما من يتراجع عن ذلك الرأي وهو مصيب، فانه رجل متزوج..![2]..؟

وحين تكثر مصاعب الحياة فينوء بحملها الرجل الشعبي، يتمنى لو كانت أمه قد ولدته بنتا لينعم في ظل الزوجية برعاية رجل اخر، فيخاطبها عاتبا: « يايمه لو جايبتني بنيه..لاخذ رجل واكعد بفيّه..».

فلئن حصلت المساواة هل يبقى مجال لهذا الرجل أن يتمنى لو كان امرأة..؟

ولكن مع هذه الرعاية التي يوفرها عش الزوجية للمرأة فان الرجل في الواقع لايتمنى ولافي الاحلام أن يصير امرأة..

فمن دراسة اجريت سنة (١٩٤٦) ظهر ان الرجال الذين لو أتيح لهم أن يولدوا مرة ثانية – والذين يفضلون ان يولدوا نساء لاتتجاوز نسبتهم (٣ر٣) بالمئة..[3]..

والغريب في الأمر ان المرأة نفسها تفضل الرجل..وما أكثر مانجدها في الوسط الشعبي تحسد ام البنين، وتندب حظها التعس لانها لا تلد غير البنات.

---

(١) من قول الشاعر المصري (حافظ ابراهيم) في ديوانه (الاجتماعيات)

الأم مدرسة اذا اعددتها

أعددت شعبا طيب الاعراق.

ج١ ص ٩٧٢

(٢) مجلة (حياتك) ص ١١٥

(3) Margaret Mead (Male & Female) N.Y.- 1950 , P. 267 fn.

فلقد كان معروفا عن الأم أنها تبتغي أن تلد الولد(الذكر)..واكبر الظن أن اسباب ذلك تعود الى مامرت به من خبرة مع بيئتها الاجتماعية:

١ – ان الولد ما كان يحاسب عندما يخطىء في قضية أخلاقية..

٢ – ان الام تعتمد على الولد اعتمادها على ابيها أو زوجها..لانها ترى فيه رب العائلة المنتظر وسندها المادي في العيش..

٣ – باستطاعة الولد أن يدخل مواضع لاتستطيع البنت دخولها..(في المجتمع الرجالي)الذي قالت عنه احدى المطالبات بحقوق المرأة: « ان هذا العالم هو عالم الرجال.».. [٤]

٤ – ولاعجب في ان تتمنى حتى الفتاة أن ترزق عمتها أو خالتها بالاولاد بدل البنات..لأن ذلك يرفع من قيمتها بين اولاد عمتها أو خالتها(بسبب الزيادة في الطلب) ويضمن لها أن تصبح حسبما تقول الحكمة « بضاعة لن تبور».

عام المرأة العالمي

يذكر مؤلفا كتاب «الفروق الفردية» ان في السنة التي كتبا فيها كتابهما أعلنت الأمم المتحدة أن تكون تلك السنة (١٩٧٥) عاما عالميا للمرأة في محاولة لمساواتها بالرجل في فرص الحياة.. [٥]

ولكن فرص الحياة تحتاج الى عمل..ومن الأمور التي تختلف فيها المرأة عن الرجل هي نظرتها الى العمل، والى كسب العيش..فهي لا تهتم بما يهتم به الرجل من الأهداف المهنية البعيدة الأمد..الذي يعنيها أكثر هو الوضع المريح في مكان العمل..يقول (شولتز): «مازالت المرأة تأخذ أجرا أقل، كما انها محددة بمجالات عمل معينة: كاتبات طابعة، عاملات في بدالات التلفون، سكرتيرات، معلمات، وماأشبه ذلك.. [٦]

---

(٤) سيمون دي بوفوار (الجنس الاخر) بيروت – لبنان ، أنظر : ع.م.ب (العقدة النفسية..) فصل: عقدة الجنس الآخر..

(5) Buss & Poley (Individual Differences) N.Y. 1976 , P. 248 - 9

(6) Schultz (Psychology in Use ...) P. 363

وبالنسبة لأختلافات الشخصية بين الجنسين لقد توصل (آيسنك) الى أن الذكور يسجلون أرقاما أعلى في (الهيمنة)..بينما الاناث يسجلن أرقاما أعلى في الأمور التي تخص «الحنان» و« العطف».. [٧].

والخلاصة التي وصلت اليها بعض الابحاث هي: ان الأولاد اكثر فعالية ونشاطا، واعتداء، واستقلالية..والبنات – اكثر عاطفية وتطبعا واتكالية..ولانهن أبرع في الكلام واللباقة اللغوية، فالمقترح أن يقمن بواجب البلورة الاجتماعية للجيل التالي.. [٨]

أما حين تصبح الفتاة رياضية فانها مثل زميلها الرياضي – تتصف بالسيطرة على النفس وبالانطلاقية..كما ان المتخصصة بالرياضة في الجامعة أقل تعرضا للامراض العصبية ذلك لأن نسبة رياضي(واحد) من كل (اربعة) يصاب بالقلق او الانهيار النفسي..وفيما يخص الألعاب التي تشارك فيها المرأة : انها تفضل:

في الرياضة الفرقية/ الطائرة، السلة، وركض البريد..

في الرياضة الفردية/ الغطس، الجمناستك، ركوب الخيل.. [٩]

ولكن هناك بعض السمات في سلوك المرأة يقف الرجل ازاءها حائرا احيانا..ومن بين تلك السمات قضية البكاء وغزارة دموع المرأة.! فهل هذا دليل قاطع على أنها الجنس الأضعف..؟ أم هو دليل على ضيق التفكير وقلة الذكاء..؟

---

(7) Buss & Poley (Individual Differences..) P.236

(8) (Ibid) P.237

(9) Schultz (OP. cit) PP. 401 - 403

هنا خلاصة آراء مجموعة من الجنس «الباكي» وهن يحاولن الايضاح للجنس الاخر (غير الباكي) سبب كل هذه الضجة والدموع..ان الطبيعة على ما أعطت الجنسين من الاختلاف «والتناقض»، فقد ذهبت الى ابعد من ذلك في مجال الفرق بين مجاريهم الدمعية ومجاريهن..لكأنها زودت الرجال بنابض أمان مكتوب عليه: (للاستعمال فقط في الأحوال الطارئة)..بينما هناك تسرب سهل في مجاري الدموع عند النساء..ويحدث هذا التسرب بحيث تصعب السيطرة عليه في بعض المناسبات – مثلما تصعب على الشهيق المتقطع (أو الشهيقة)..

الخطأ الذي يقع فيه الرجال أنهم يظنون أن دموع النساء كلها نتيجة «الحزن»، بينما هناك حوالي مئة سبب لبكائهن ومنها الغضب، والسرور، والرقة..وربما يبكين عن قصد وعمد، أو «بالخطأ».. وحينما لايدرين انفسهن سبب البكاء، يتوقعن منك ان تعرف السبب وتقوم بعمل اتجاهه..

تقول الكاتبة (لوبولد): « ليس من مصلحة المرأة أن تحصل على كل شيء يتمناه قلبها بواسطة البكاء..» وتضرب لذلك مثلا بزوجها: « انه حين يراني مكتئبة، أو أغص ببعض الدموع لايحقق في الموضوع بل يبدي الاستغراب والحيرة..ثم يطلب مني ان اخبره فيما بعد بالسبب..ويعود الى ما كان يعمله من تناول للاكل أو مطالعة..».. (١٠).

حسب رأي هذه الكاتبة، يجب معرفة نوع الدموع قبل ايجاد نوع الحل لها..فحين تبكي المرأة لانها« متضايقة» و« منزعجة» فهي بحاجة الى من يقف الى جانبها، لا أن تترك لوحدها..أما موقف «الغضب» فهو حاد السخونة..يبخر الدموع، وينشف الدماغ ويجعل الطبع جافا..

(10) Joyce Lubold, in the (R.D.) U.S.A - Feb. 1968, PP. 207 - 210.

الغرائب في سلوك المرأة

حينما ينظر الرجل الى أنواع السلوك عند المرأة، يتصور انها غير ناضجة في التفكير..أو تفكر بعاطفتها بدل عقلها..أو أن امكانية الفهم عندها محدودة، وذكاءها ضئيل.. والا كيف ترتدي الملابس الرقيقة في أيام البرد..؟ وما الداعي لممارستها الحيلة والمكر وعدم الثقة بزوجها..؟ ولماذا يتغير رأيها بسهولة؟ ولم الشغف بالحفلات.؟..هل هي حقا تشم أشياء تحترق، وتسمع اصوات اللصوص؟ ولماذا لاتعرف كيف تركض أو ترمي الكرة مثل الرجل؟..وعلام هذه «الحملات الشعبية» بين آونة واخرى لترتيب البيت وتنظيفه؟.

قد يكون في هذه الأوجه من سلوك المرأة مايدعو الى الحيرة أو يثير العجب.. وقد تبرعت احدى الكاتبات بالاجابة على مثل هذه التساؤلات، وأعطت السبب..وقديما قيل: «متى عرف السبب، بطل العجب..».

١ - كيف تستطيع المرأة أن تصمد بالملابس الخفيفة في الجو البارد..؟.

يدعي بعض الباحثين ان لهذه الحقيقة سببين: الاول. انها مزودة بغلاف حول جسمها تلتحف به.. فقد وضعت لها الطبيعة لبادات (أو طبقات كثيفة من الشحم) تحتفظ بالحرارة وعازلة لبرودة الجو الخارجي. الثاني. ان العملية الحياتية (الميتابولزم)[١١].. أكثر مرونة عندها من الرجل.. فهي تولد المزيد من الحرارة في الشتاء. وتقلل من انتاج تلك الحرارة في الصيف.. في الجو الحار يكون ماينفثه الانج المربع في جلدها من الحرارة أقل مما يشعه جلد الرجل بنسبة (٨٪) ثمانية بالمائة[١٢].. وفي البرد عكس ذلك.. بهذا فان جسمها لايحتاج الى انتاج الكثير من الحرارة الا في الايام الباردة.

وبذلك يكون الرجل اكثر حاجة منها الى الملابس السميكة في ايام الشتاء. لقلة مقاومة جسمه في الجو البارد..

(11) Metabolism.

(١٢) ماأكثر مانسمع العجائز ينصحن الأم الشابة بعدم الخوف والقلق من ارتفاع حرارة جلد ولدها .. لأن « جسم الولد أحر من جسم البنت .. »

٢ – لماذا تغير رأيها أكثر من الرجل بكثير..؟

النساء يقلن ان المرأة لاتغير رأيها وانما هي بطيئة في اتخاذ القرار أكثر من زميلها الرجل وتستغرق وقتا طويلا في الوصول الى ذلك القرار..ولكنها حالما تصل الى رأي تتمسك به عادة..والواقع ان الرجال هم الذين يتذبذبون وتتغير اراؤهم..وتعتمد النساء في هذا على بعض الاحصائيات التي توضح ان الرجال يغيرون آراءهم بقدر النساء مرتين او ثلاث مرات.

فهل هذا هو الذي يقلل ثقتهن بمشاريعهم ويزيد عدم الاطمئنان بمغامراتهم؟

٣ – لماذا ترتاب النساء دائما وأبدا من حب ازواجهن للمغامرة والمجازفات؟

إحدى النظريات تقول: ان الزوجة تفسر تصرف زوجها بأنه هروب من المسؤوليات..فالمرأة تظن ان الرجل يتهرب كثيرا ولايأخذ واجبه كزوج وأب بجدية كافية..ان الذي يخيفها هو ان تشعر بانها سلمت حياتها الى من لايعتمد عليه..

٤ – لماذا تميل الى حضور الحفلات الموسيقية «والثقافية» أكثر من الرجل بكثير؟

لهذا الميل أساس (بايولوجي)..فمثل هذه الحفلات تستوجب الجلوس بسكون..ومن الشاق على الرجل ان يجلس ساكنا (دون حركة)..ان امتياز المرأة هو بما تملكه من شحم ولحم..وهذا نفسه يحفظها من البرد كما يجعل جلوسها على الكرسي مريحا..بينما عند الرجل تكون المنطقة الممتلئة والضخمة حول صدره وكتفه.. [١٣] انه مصمم للتحرك وليس للجلوس..

(١٣) الكلام هنا لايعني ذوي (الكروش) المنتفخة المتهدلة ، أو الأجسام المترهلة ..

٥ – ما السبب في ان المرأة دائما تشم شيئا يحترق أو تسمع اصوات «حرامية»؟

هنا دليل على ان حواسها قد تكون أكثر حدة من حواس الرجل..والا كيف يحصل الاتفاق لدى جميع الزوجات تقريبا على سماع أصوات لم يسمعها الزوج..؟ على سبيل المثال، هذه احدى بنات حواء تقول: «إنني ربما اكون مخطئة في استنتاجاتي، ولكني مع هذا قد سمعت شيئا لم يستطع زوجي ان يسمعه..» **فهل هذا** دليل على ان الزوجة أكثر اهتماما بالبيت والاسرة..؟
أم هي علامة من علامات التفوق..؟

٦ – لماذا لاتستطيع البنت الركض أو رمي الكرة بصورة متقنة..؟

يمكن أن نعزو هذا الى تركيب عظامها..فان زاوية المفصل في ذراعها لها دخل في الموضوع، لأن المرأة الوسط (أو القياسية) أكثر تقوسا في الذراع من الرجل وهذا مما يشكل عقبة أمام حركة الذراع الى الأعلى..

وهكذا السيقان (عند الركبة) تكون عقبة أمام الركض بصورة مستقيمة مما يجعل الفتاة تحرك سيقانها بخطوط منحنية..ولذا فهي عرضة للتعثر عند المشي..أو ربما السقوط في بعض المواضع غير المنبسطة..[١٤].

نسأل هنا: لماذا كل هذه الاقواس والانحناءات في جسم المرأة..؟ طبعا المفهوم السائد لدى أهل الفنون التشكيلية هو ان الخطوط المنحنية والاقواس اجمل من الخطوط المستقيمة..ومن ينظر الى صورة جانبية (تخطيطية) لوجهي رجل وامرأة يتمكن من تمييز وجه المرأة من الخطوط الاكثر انحناءً..

تقول «لويز ددلي» ان على الخط المنحني أثر الرقة، والاقواس تكاد دائما توحي بالحركة والحياة والطاقة، ولكنها لاتدل على القسوة والخشونة أبدا[١٥]..

(١٤) ربما هذا أحد الاسباب التي تجعل الفتاة المتحضرة تمسك بذراع زوجها عند المشي ..

(15) Dudley & Co - author (The Humanities - Applied Aesthetics) N.Y. 1940, P.155

٧ – لماذا، وفي فترات زمنية (دورية) ترمي المرأة نفسها في الحماسة والهياج فتنهمك بالتنظيف العام للبيت وتحويل مواضع آثاثه..؟.

ان الزوج الذي يعود الى بيته فيجد ان كرسيه المفضل قد تحول من مكانه المعهود، لايستطيع الا ان يفعل شيئا غير ان يلوم غدتها(الدرقية).. [١٦] لأن هذه (الغدة) أكبر حجما واكثر نشاطا من غدته، وهي التي تدفعها الى كل هذا النشاط والحيوية..

تفسر الكاتبة (جوديت تشرشل) هذه المسألة بقولها ان «المرأة لديها كذلك (شهريا) نوعاً من الاحساس بـ (العش).. لذا فهي تعمد الى جعل كل شيء مرتبا أنيقا..» [١٧].

٨ – لماذا تكون المرأة ماكرة وكثيرة الاحتيال..؟

الحقيقة – كما تراها المرأة – هي: ان الرجل هو صاحب الحيل والقصص الكاذبة والمبالغات والتلفيقات..لكن أغلب علماء النفس يتفقون على أن النساء اكثر ميلا الى الاكذوبات الصغيرة واقدر على الخداع والمبالغة وتحاشي الموضوع والهرب من المناقشة.

المكر سلاح قديم يستخدمه الجنس الأضعف – بدنيا وليس حيويا–. فالمرأة من أجل التعويض عن ضعفها، تعمد دائما الى الاعتماد على رسم الخطط (الستراتيجية).. فقد طبعت نفسها على التصور الدقيق والاحساس المرهف والملاحظة والاستنتاج..ومن الدروس التي تعلمتها أنها حين يعنيها الأمر من الأفضل أن تتبع الأساليب اللبقة (قوة الكلمة..والخيال)

ويتسع الخيال حتى يصل الى مايسمى بـ (حدس المرأة) وتخمينها اللاشعوري حين تقول: «قلبي اعلمني» أو «قلب الأم يعلم»..

---

(16) Thyroid Gland

(١٧) في مقالتها بعنوان: «لماذا تسلك النساء هكذا ؟» ...

Judith Churchill, in the (R.D.) U.S.A. - 1968, P.97.

المرأة في الاساطير القديمة داهية عظمى.. فهي عند اليونانيين - كما كانت عند غيرهم - «مخلوق تحيط به هالة من الغموض والسحر..فالحروب تنشب بسببها، والابطال يخوضون الأهوال في سبيل هواها أو انتقاما من غدرها..والجنس يبدو محرك التاريخ..»[١٨].

يروى ان مجموعة كبيرة من النساء قد بسطت حكمها على الأرض.. وكانت المرأة - في ذلك الشعب النسوي الحاكم - مقاتلة ولاترجع من الحرب الى البيت الا لكي تلد.. وبعدما تحدث الولادة تخرج لممارسة عملها في الدولة وفي الحرب..« صورة مجتمع تبادل الناس فيه الأدوار..»[١٩]

كان يطلق على هاتيك النساء المقاتلات اسم: (الأمازونات).. وقد تردد ذكرهن كثيرا في الاساطير اليونانية..

ولكن اليونانيين أهل منطق..والمنطق ربما يسمح بأن تتفوق المرأة في ركوب الخيل، ولكن كيف تحمل فوق ثدييها درعا وجعبة للسهام؟..

لابد أن تكون الامازونات بلا صدور ..وربما هذا هو سبب تسميتهن بهذا الاسم..فكلمة « أمازون» معناها: فاقدة الصدر..[٢٠].

وتحتل المرأة في التراث الشعبي مكانا مرموقا بين السحرة والعرافين وضاربي الرمل، وقارئي الكف والفنجان..فهي تؤمن بتفاسير الأحلام وهي اضافة الى (قلبها الذي يعلمها)، تمارس (الحدس) والاتصال عبر المسافات (التلباثي)..فاذا غصت بلقمة عند تناولها الطعام قالت ان ابنها البعيد جائع..وإذا تصارعت العصافير عند الشباك تنبأت بقدوم الضيوف..وإذا أحست بحكة في راحة يدها قالت: سيأتيها رزق من المال..وإذا رفّت عينها (أو ارتجف جفنها) تعوذت بالله من الشيطان الرجيم..

---

(١٨) حسب راوية : « هيرودوت »

(١٩) صلاح حافظ (التاريخ الجنسي للانسان -) الكتاب الذهبي - ١٩٧١ ، ص ٤٢ ومابعدها

(٢٠) (المصدر السابق) ص ٤٣

الواقع ، من الأمور الشائعة بين الشعبيين بصورة عامة أنهم يستخدمون «الحدس والتخمين» في الحكم على الانسان.. وقد كان (فالنتاين – ١٩٢٩) أول من قام بدراسة «الحكم الاجتماعي» من وجهة نظر الحدس. فقال: « ان (السيكولوجيا الشعبية) تفترض ان النساء أفضل من الرجال في فعالية الحدس..وانهن أقدر على تحليل صفات الانسان وخلقه بهذه الطريقة..».. [٢١].

يبدو أن البنات (والنساء) أكثر تقبلا للايحاء (والتوجيه) من الأولاد (والرجال)..وربما لهذا السبب هن أصلح عندما يتطلب الأمر وسيطات في التنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح.. [٢٢].

يدعي بعض الباحثين أن الرجل يتفوق في سبع سمات شخصية هي: [٢٣]

١ – الدقة – ٧٣٪ (والقصد ان ٧٣بالمئة من الرجال يتصفون بالدقة)..!
٢ – الشغف بألعاب المهارة – ٧١٪ (والأمور التي فيها بعض التحدي).
٣ – الاستقلالية – ٧٠٪
٤ – الاندفاع في كسب المال –٦٩٪
٥ – سرعة التغلب على الحزن – ٦٦٪
٦ – حب الرياضة – ٦٢٪
٧ – حب الهزل والفكاهة – ٦١٪

---

(21) Westcott , M.R. (... Psychology of Intuition) N.Y. 1968 , P.56 - 7
(22) Weitzenhoffer (Hypnotism ..) N.Y. 1953 , P.282
(23) Hepner (Psychology Applied ...) P. 640 - 41 .

وهناك سمات عديدة تهبط فيها نسبة الرجال ومن أمثال هذه:

الثرثرة — ٤٠٪ (أي نسبة ٤٠ بالمئة منهم يثرثرون..)
الغرور — ٤٠٪
العطف — ٣٨٪
التدين — ٣٦٪
الرغبة في التغيير — ٣٢٪
الاندفاع في العمل اليدوي — ٢٨٪
الاهتمام بالاشخاص بدل الأشياء — ١٥٪
الصبر — ٣٨٪
الحماسة والانفعال — ٣٧٪
تقلب المزاج — ٣٤٪
الامتناع عن الكحول — ٣٠٪ وأقل..
الاندفاع في الصناعة —٢٨٪

ويتفوق الرجال في قضية الاختلال العقلي..فهم أكثر عدداً في معاهد ومؤسسات ضعاف العقول من النساء..وقد يكون الاختلاف ناتج عن الضغط الاقتصادي..

ويتركز أكثر اهتمام المرأة في البيت (مملكتها)..أما العمل والشؤون العالمية فتأتي بالدرجة الثانية ..حتى الحوادث التي لها أهمية تاريخية، ظهر أنها أقل تشويقا للمرأة من« وصفة» لتحضير وجبة طعام..أو كيفية صنع الفطائر والمعجنات (مثل الكيك والباي).. (٢٤).

(24) (Ibid) P. 641

ولكن المسألة - كما يراها كاتب هذه السطور - هي مسألة مزاج، أكثر مما هي صفات ثابتة..مثلا: الرجل المدعو «فات» والمختص بـ (التاريخ) قد ترك اختصاصه ليكون طباخا في أحد المطاعم وحين كان يُسأل عن سبب ذلك يقول: «ما أنا والكلام عن تاريخ الاموات؟ لذتي في الحياة هي ابتكار طبخات جديدة من الطعام.» فهو وان كان مديراً لذلك المطعم.. [٢٥] لكنك لاتجده في «غرفة الادارة» ؛ بل تراه مرتديا بدلة الطبخ وهو يعمل بين القدور والمواعين..

على اية حال، ومهما يوجد بين الجنسين من تشابه واضح أحيانا ومن فروق ملموسة في أحيان اخرى،فهناك حواجز غير مرئية يصطدمان بها في الحياة الزوجية.

الحواجز غير المرئية

رغم ان معدل الذكاء عند المرأة يساوي معدل ذكاء الرجل، لكن كل واحد منهما يستخدم ذكاءه في مجال يختلف عن مجال الاخر..

وهناك الفروق البيئية (وخلفية كل منهما).... في الأزمنة الغابرة كانت الفروق بين الجنسين ترتبط بجسور - بسبب الحياة القبلية أو العشائرية - ويشترك كلاهما عادة بنفس الخلفية (البيئية).. كل واحد يتزوج من نفس الدين والطبقة الاجتماعية والثقافية.. وبذلك يُحل عدد من المشاكل التي تثار بين امرأة من عائلة محافظة (على الدين، مثلا) ورجل غير ملتزم بذلك..فهي ربما ترى - حين يمرض الطفل - أن دواء الطبيب لايشفي تماما، الا إذا نذرت أن تدفع مبلغا من المال الى الفقراء أو الى أحد الأنبياء أو الاولياء.. بينما الزوج مثلا، بحكم تحرره باسم العلم - يعتقد أن هذا لايقدم ولايؤخر بالنسبة للجراثيم المرضية [٢٦].

---

(٢٥) كان اسم المطعم الـ (هي ماركت) أي: (سوق التبن)

(26) Virus

ويتصور (برنارد) وزميله، أن الفتاة من العائلة الفقيرة تمشي في ميزانية بيتها على طريقة: (القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود)، بينما الرجل الذي نشأ في عائلة مرفهة – أو هبطت عليه ثروة عن طريق الارث – ربما يسير حسب المثل القائل: (اصرف مافي الجيب...يأتيك مافي الغيب)(٢٧).

وقد أعرض (الكاتبان) عن ذكر المرأة المشكلة (أو الجاهلة) التي جاءت الى بيت زوجها بعقد نفسية، وبمشاعر نقص مؤلمة اتجاه المتمكنين، غير المحتاجين للمال..

في ضوء هذه الأمور وامثالها يصبح رأي (تشيس) صحيحاً إذ قال:(ان المعادلة: المرأة = الرجل هي تطرف معاكس لمبدأ النقص الانثوي.. فكلا المبدأين بلا معنى بالنظرة العملية)(٢٨).

هنا تتغلب المرأة

اجرى المؤرخ المعروف «توينبي» مرة حوارا مع استاذ في احدى جامعات اليابان حول الثقافة اليابانية وصلتها بالعالم..وعن هذا السؤال المتعلق بالمرأة والرجل أجاب الاستاذ:

... أظن ان لدى المرأة صبرا أكثر مما لدى الرجل. كما لديها ارادة لتحمل مشقة التفصيلات مهما كانت مقبضة للنفس ومملة..وأظن ان هذا يجعلها أصلح من الرجل في تحمل الوتيرة الواحدة (أو الروتين) في العمل الصناعي هذه الايام(والعمل المكتبي)(٢٩).

وأفصحت احدى الدراسات عن ان النساء أفضل من الرجال في قيادة السيارات..وذلك استنادا الى قناعة تامة توصلت اليها. ولهذا أصبحت شركات التأمين تعطيهن حسما خاصا قدره(١٢,٥) بالمائة..

وصرح مدير مجموعة شركات التأمين قائلا: «لقد دلت جميع احصاءاتنا على أن النساء أفضل وأكثر أمنا في قيادة السيارات.. فهن يقطعن مسافة أقل ولايسرن بسرعة كما انهن عكس الرجال لايشربن (الخمر) أثناء القيادة.

---

(27) Bernard & Lebsenz , in the (R.D) Feb . 68 , PP. 63 - 66

(28) Chase . S. (Tyranny of Words) P.203

(29) Toynbee . Arnold (Surviving the Future) England 1971 . P. 127

لذا، في حالة وقوع حادث للمرأة، فان مقدار الضرر عادة أقل مما ينتج عن حوادث الرجال[٣٠].

لاشك ان هذه المعلومات ستكون ضربة موجعة لكبرياء الرجال..

وكتبت (بولي توينبي) في دفاعها عن المرأة تقول: ان(دنيا الاعلانات التجارية)هي أفضل جهة للحصول على نظرة متعمقة ودقيقة عن الآراء الاجتماعية وتوجهاتها.

تصور هذه الاعلانات (التجارية) المرأة: جميلة. وغبية، وتثرثر دائما والحقيقة ان ربة البيت المتحضرة لم تعد هكذا .. إذ انها:

١ – لاتثير الشكوى حول البقع (واللكع) أو على الأقل ليس دائما..

٢ – لاتقضي معظم يومها تقارن أرضية مطبخها مع مطابخ الجيران[٣١]..

فاذا كانت(بولي توينبي)تدافع عن زميلتها المتحضرة بكونها لم تعد كما كانت تثرثر مع جارتها..فان الذي تواجهه المرأة الحاضرة في البلدان النامية هو أن تتحمل مسؤولية تثقيف الرجل لتخليصه من عقدة الجنس الآخر.

الى جانب كل هذه الفروق التي تجعل المرأة تتفوق على صاحبها في بعض القضايا ويتفوق الرجل عليها في قضايا أخرى،فهناك أمور اكثر من هذه بكثير يتساوى فيها الاثنان..

ولكن رغم كل ذلك، تبقى المرأة تتطلع الى من يقدرها تقدير الصديق، ويرعاها رعاية الأب،ويحترمها احترام المعجب..

ويبقى الرجل يتطلع الى من تثير اعجابه، وتعوضه عن حنان أمه، وتشبع غروره..

---

(٣٠) صحيفة (الانباء) الكويتية ، ١٩٨٤/١١/٢٥ ، ص ٢٨

(31) Polly Toynbee , in (The Guardian) Oct . 7 1984 , P.4

الفصل الثامن

التفوق... بين البشر

مشكلة التدرج البشري

قضية الاحترام

ارستقراطية الاغنياء

هل اختار الله شعبا...؟

الذكاء والعنصرية

التفوق.. والسيطرة

كرامة الانسان

قانون القوة

قارب النجاة

الطبيعة البشرية تنفر من الحكايات المعادة.. وقد كشف الشاعر العربي طبيعة البشر هذه حين نصح المتحدثين قائلاً :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم
من الحديث بما يمضي وما ياتي
فلا تعاود حديثاً ان طبعهمو
موكل بمعاداة المعادات

لهذا لن نعيد هنا قصة: (تريد الأرنب؟.. خذ الارنب.. تريد الغزال؟.. خذ الأرنب..)

فقد رويت هذه القصة في أحد كتب هذه السلسلة..

يبحث هذا الكتاب في «الذكاء»، وهو أحد الحقول العلمية.. والمفروض ان «العلوم» بعيدة عن الأهواء والسياسات، وأنها مجندة لخدمة البشرية جمعاء.. والمفهوم السائد أن حضارة القرن العشرين قدمت مايدعو لفخرها واعتزازها إذ جعلت الطريق العلمي ممهداً سهلاً ببذل المخصصات المالية بسخاء لأنشاء المختبرات واجهزتها المتطورة ؛ ولرفع المستوى الفكري للعاكفين على البحوث ؛ ولتهيئة الحياة المرفهة لهؤلاء الذين نذروا حياتهم لخدمة الحضارة الانسانية.. هذا اضافة الى اعطائهم الحرية التامة في النهج الدراسي الذي ينتهجونه..

ولكن الذي حدث هو أن بعض المشرفين على هذه البحوث من المستغلين العالميين، صاروا يضربون على وتر : أن الذكاء «وراثي»، ليبرهنوا على وجود الحق الأهلي لهم بالاستحواذ على الشعوب المسالمة والسيطرة على ارادتها وخيراتها..

ثم استجدت أحداث أخرى نتيجة للتقدم في البحث العلمي، فحصل حقل المؤثرات البيئية على مالم تحصل عليه «الوراثة».. فقالوا: ان الذكاء «مكتسب»، وهم الذين اكتسبوه ؛ وليس للشعوب النامية والمسالمة الاّ أن ترضى بواقعها المتخلف، وأن تبقى تابعة لهم بارادتها وخيراتها.. ولئن لم يقولوا هذا لفظاً ؛ فقد قالوه، في بعض الأحوال ، سلوكاً..

انها تشبه قصة ذلك المتنفذ مع دليله في الصيد.. فسواء أراد هذا أرنباً أم غزالاً ؛ فان النتيجة واحدة.. وسواء أكان الذكاء موروثاً أم مكتسباً، فالنتيجة واحدة..

يبدو أن القضية هي نوع من (الارستقراطية) مابين البشر..!

مشكلة التدرج البشري

عرّف أحد الكتاب «الارستقراطي» بانه شخص لديه من السمات ماتسمح له بأن يرمي رداءه (أو سترته) على الأرض ويتوقع أن يتلقفها شخص ما فيأتي بها اليه..[١]

انها قضية اختلاف في التفكير.. اختلاف في الفهم للحياة.. واختلاف في الغاية والهدف من هذه الحياة بين رامي (السترة) وبين من يرفعها عن الارض. ان هذا الذي يلتقط السترة المرمية في الشارع، له قيم ومثل عليا تعيّن له الهدف.. وهي: أن يكون كريم النفس، طيباً.. وأن يبحث عن المواقف التي تهيء له القدرة على تقديم المساعدة للآخرين.. ولا يريد من وراء ذلك جزاء ولاشكوراً، غير اشباع رغبة متاصلة في نفسه في أن يصل المجتمع الى درجة من السعادة تؤهله لأن يكون مثالياً في علاقاته، والى رضا الضمير الذي يؤدي الى مايدعى بـ (الاستقرار العاطفي)..[٢]

أما الذي رمى «السترة»، فهو في باطن نفسه يتوقع وجود ناس طيبين في المجتمع ينتشلون رداءه.. ولكنه لايفهم هذا العمل على أنه مساعدة أو فضل، بل يعتبره نوع من التقدير لشخصيته الجذابة، والاحترام لمكانته المهابة.

مثل هذا (الارستقراطي) لايخشى منه على الناس الطيبين، لأن هؤلاء لايقومون بالأعمال الطيبة و الخيرة لأجل سواد عيونه ؛ بل لأن بيئتهم (التي تتضمن النشأة والتربية) جعلتهم يؤمنون بما يفعلون.. «والحق ان وفاء الانسان للقيم واخلاصه لنفسه بوصفه صاحب رسالة ؛ انما هما المعياران الوحيدان للنجاح الحقيقي، الذي طالما أحرزه عظماء البشرية»..[٣]

---

(1) Petersen (Philosophy of a Peasant) P.25

(٢) ع.م.ب (الانسجام – في النفس والمجتمع) بغداد ١٩٨٠ ص ٦٢.

(٣) د. زكريا ابراهيم (مشكلة الحياة) القاهرة ، ص ١٨١.

يتكلم «بيترسن» في كتابه حول (فلسفة الفقراء) عن ثلاثة انواع من الناس: الفقير، وهو الذي يعالج الأمور بالفعل والعمل.. والمفكر. وهو الذي يتعامل بالكلمات.. و(الارستقراطي)، وهذا يتعامل بالمكانة..[٤]

ولأن الاثنين الأخيرين لايعالجان الأمور بالعمل، لذا فهما لاينكشفان بسرعة... بينما الفقير - بسبب الطريقة العملية التي ينتهجها - ينكشف أمره بسهولة، ولايستطيع اخفاء قسوته (أو ملعنته) كغيره..

من الواضح ان الكاتب (بيترسن) يخلط بين «الفقير» المعدم الذي ليس لديه ما يقتات به، وبين من يكسب عيشه (من عرق جبينه -كما يقولون).. ويبدو أنه يقصد الفرد الذي تعوزه المهارة.. أو ما يسميه رجال الأعمال: (غير الماهر).. ربما ذلك.. والا لو كان يقصد «قليل المال»، لكان المفكر مشمولاً بالمعنى.. لأن هذا، في اغلب الأحيان، لايكسب الكثير من المال ؛والسبب هو أن الاعمال الفكرية التي ينهمك فيها هي التي تلهيه عن كسب المال.. اضافة الى أن جمع المال يتعارض مع المثاليات التي ينتهجها..

قال أحد الشعراء، في هذا المضمار:..[٥]

بيني وبين المال ظلت عداوة ... فلا أنا أرجوه ولاهو يأتيني
وكم رام أهلي أن ترى لي ثروة ... ولكن لهم دين بذاك ولي ديني

وقال في مناسبة أخرى:

وللبقاء أرجي المال أبذله ... ولست أكنزه في شكل أكداس
وأبتغي منه أن ازداد مكرمة ... لا أن أكون به عبداً لأفلاس
فان رأيت بجيبي منه باقية ... فانما ذي تقيني يوم إفلاسي

---

(4) Petersen (OP. cit) P.23

(٥) الأبيات لشاعر نكرة يطلق على نفسه اسم: (الشاعر المجهول)

وفيما يتعلق بالتدرج البشري من حيث السلوك. تقول احدى الباحثات في علم النفس الاجتماعي (نانسي هنلي)..[٦] : «حين يمس ف من الناس شخصاً آخر، وهذا لايرد عليه بنفس الاسلوب. فان هذه - في المعتا لة تعني أن (اللامس) هو من طبقة اجتماعية أعلى درجة من الشخص الملموس..».

لننظر الى هذه القضية من الناحية الواقعية.. ان هذين الشخصين. حتى لوكانا صديقين ومن مستوى اجتماعي واحد ؛ فان الذي يضع يده على كتف الآخر ؛ مثلاً، هو عادة أطول من صاحبه.. ومن غير المعقول أن يضع القصير يده على كتف من هو أطول منه..

ترى الباحثة : ان وضع اليد على كتف الآخر، أو وضع الذراع حول عنقه، أو وضع الاصبع على صدره، أو مسك الآخر من رسغ يده.. كل هذه الأمور تحصل بين النماذج التالية من الناس :

مدرس وتلميذ.. طبيب ومريض.. رئيس عمل وعامل.. مدير وسكرتير.. شرطي ومتهم.. الخ..

فاذا انعكس التسلسل، فوضع التلميذ يده على مدرسه، أو وضع المتهم يده على الشرطي، الخ.. فتكون هذه اهانة كبيرة..[٧]

يبدو ان هذه العلاقة بين الناس تفرضها القيم الاجتماعية ومصلحة المجتمع.. فلئن أهين الشرطي، أهين النظام.. ولئن اهين الطبيب، تدمرت الصحة..

ولكن المجتمع الحديث يرفض العلاقة التي يسودها الخوف، ويدعو الى العلاقة المبنية على االاحترام.. الا أن العلاقات التي تقضي على خوف التلميذ من المدرس، لا تعني مساواة هذا التلميذ مع مدرسه وعدم احترامه ؛ لأن هذا يسلب عملية التعلم أفضل مقوماتها.. فاننا متى احترمنا أحداً أحببنا أن نقلده، نحاكيه، نتشبه به فنتعلم منه..

---

(6) Nancy Henley - 1973

(7) See : Rubin & McNeil (.. Being Human) PP.322 - 23

هذا من جانب الطلبة، أما من جانب المدرس فان الاحترام هو أفضل أنواع الاكرام والتقدير.. وكما قال أحد الشعراء :

ان المعلم والطبيب، كلاهما
لا ينصحان اذا هما لم يكرما.

ومن مظاهر الاحترام نهوض الجامعيين من مقاعدهم، والوقوف عند حضور استاذهم.. وقد أطلق أحد التربويين على هذه العملية اسم: «صلاة العلم»..[8]

قضية الاحترام

وخارج ذلك النطاق التربوي، هنالك في الناس من ينظر اليك لأول مرة فيطبق عليك ما يملك من قوة الفراسة حسب ما تجمع لديه من معلومات عابرة يتصيدها من هنا وهناك – من المظهر والملابس مثلاً – فيدخلك بعدها في صندوق زجاجي (أو عاجي أو ذهبي) ثم يضع الصندوق بما فيه على رف من الرفوف..

هذا الانسان يتعامل معك بموجب تلك المنزلة التي وضعك فيها، مادمت في ذلك المكان الذي رسمه لك.. أما إذا فتحت باب الصندوق وخرجت منه، أوهبطت الى حيث هو ووقفت على نفس الأرض التي يقف عليها ؛ فانك حينذاك تكون قد خيبت ظنه، وأصبحت شخصاً مخالفاً لتصوره.. وليس من المستغرب أنك ستواجه منه عدم الاحترام، فيسلك معك سلوكاً غير ماتتصور..!

ان نزولك من المنزلة التي وضعك فيها لايعني احترامه والتواضع معه ؛وانما يعني بالنسبة له أنك شوشت الصورة اللامعة التي رسمها لك ووضعك في اطارها.. وهذا مس لقدرته على الفراسة ومهارته في وزن الناس.

---

(٨) د. بدرخان السندي ، في مقالته : « صلاة العلم » في صحيفة (الثورة) البغدادية ، ع ١٩٨٤/١١/٢٦ ، ص ١٢.

المشكلة هنا هي في اختلاف المفاهيم.. فالتواضع من هذا النوع ربما يعني عندك الأدب والأحترام. ولكنه يعني عنده شيئاً غير ذلك.. والأدب نفسه شيء نسبي.. فلئن التزمت الادب في تناول الطعام مثلاً. ولم تلتهم كميات كبيرة منه - ربما هي في نظرك قضية حضارية ، ولكنها في نظره مخالفة للقول المأثور : «اكل الرجال على قدر افعالها».

عسى أن لايتبادر للذهن ان القصد من هذا الكلام هو تخطئة هذا الانسان.. اذ ليس كل شيء يبدو لنا حضارياً وحديثاً هو الأفضل.. فاستعمال الملعقة والشوكة في تناول الطعام ربما يبدو من المظاهر الحضارية الطيبة ، ولكن الشعوب التي نعتبرها متقدمة في هذه الحضارة قد اتضح لها في الآونة الآخيرة ان تناول الطعام باصابع اليد أفضل صحياً..

أرستقراطية الأغنياء

من الأمور التي يرفضها المجتمع الحديث. بخصوص المستويات البشرية. ان يكون هناك بين الناس من يحاول أن يفرض الاحترام فرضاً عن طريق التفاخر بالمظاهر المالية مثلاً. ويمكن تسمية هذه الحالة بـ (أرستقراطية الثراء).. فيتصور هذا المتفاخر أنه يستطيع بذلك شراء مكانة الطبيب أو المدرس أو الشرطي. بدون دراسة أو تدريب.

يرى (برتراند رسل) أن واحدة من مساوىء الاغنياء في التأريخ هي انهم عادة يعتمدون في غناهم على الوراثة. ولهذا قلّ يبرز بينهم العباقرة.. انه يحلل مجتمعه فيقول : ان عباقرة الطبقة الغنية قلّة.. لم يقوموا بعمل أذكى من صيد الثعالب، أو معاقبة المخالف (أو الخائن) لارادتهم.. نعم قد يبرز من بينهم واحد ناجح مثل (دارون) بالصدفة ، الى جانب الآلاف الخاملة الكسولة والعاطلة.. ولكنهم من طبقة ذات

فراغ دائم، لذا فانهم:
١ - لم يكونوا أذكياء بشكل استثنائي..
٢ - لم يعلموا أبناءهم كيف يقتصدون..(٩)
السبب حسبما يبدو، هو أنهم فقدوا الحافز للبروز..

ومما يلفت النظر أن القلة من أصحاب الملَيارات في هذا القرن صاروا يدركون أن الأموال الوراثية تؤذي الوريث الى درجة كبيرة.. وربما هذا من الأسباب التي تجعلهم يوزعون أموالهم على مؤسسات خيرية من أجل اقامة المشاريع المثمرة لبلادهم كانشاء مستشفى أو مدرسة أو مكتبة عامة.. الخ، منعاً من أن تكون تلك الأموال وبالاً على الجيل التالي..

كان أحد الطلبة الجامعيين يرتدي سروالاً متهرياً ذهب لونه، أو كما يقول المثل الشائع: (أكل الدهر عليه وشرب)..
اضافة الى هذا فقد كان ذلك الطالب يشتغل في المساء عاملاً في أحد المطاعم يغسل الصحون ويمسح الأرض.. وقد سئل مرة: (لماذا أنت على هذه الحال وابوك غني معروف وأحد أصحاب المجلة الفلانية التي تربح الملايين؟)..
فأجاب موضحاً: (إن والدي لم يقصّر معي.. انه يدفع عني الأجور الدراسية وتكاليف الطعام والسكن والكتب واللوازم الأخرى ولكنه لايدفع مصاريف الجيب..).

وقد سئل الأب عن ذلك أيضاً فأجاب: (لقد هيأت لولدي الفرصة لكي يحصل على ثقافة تؤهله لأن يحل في مكاني بعد أن أفارق الحياة.. ولكنه إن لم يعتمد على نفسه في كسب ما يحتاج اليه من مصروف خاص. فما الذي سيجعله يعرف كيف يأتي الدرهم..؟).

---

(9) Russell, Bertrand (In Praise of Idleness) London, 1958, P. 26 - 27
ربما هذا مما جعل (ارسطو) يدعو الى (الارستقراطية العلمية).. انظر: ديورانت، ول (قصة الفلسفة) بيروت - ١٩٧٩، ص ١٠٤

قضية البشر قضية محيرة..!. انهم يجهدون أنفسهم ويشقون في سبيل الحصول على وسائل الرفاه المادية ؛ وحينما تتوفر هذه الوسائل، يعانون من وفرتها بشكل آخر.. فالانسان يعاني بسبب الشحة والحرمان ؛كما انه يعاني بسبب ما تجر عليه الوفرة والفائض من متاعب وويلات..

المفروض أن البيئة المادية – بما فيها من توفر المال وارتفاع المستوى المعاشي – كلها تجعل الطريق الى الابداع والعبقرية سهلاً ؛ ولكن هذا لم يمنع من وجود المتخلفين..

في الولايات المتحدة مثلاً، بما هي عليه من تقدم، ظهر وجود ستة ملايين متخلف عقلياً.. [١٠]

مشكلة تفوق الانسان على أخيه الانسان كانت مثار جدل ونقاش بين المفكرين والفلاسفة منذ زمن قديم.. وقد طرحها (افلاطون) وتبعه (كانت).. وكان الرد على مثل هذه المشكلة دائماً مامعناه : «ان شكل الانسان واحد في كل مكان ؛ الاّ أن المحتوى يختلف من مكان لآخر، ومن وقت لآخر..

لكن المستكشفين والمستعمرين الأوربيين ماكان يروق لهم ذلك».. [١١]

من الطبيعي والحالة هذه، أن هؤلاء حين يقارنون بين حضارتهم وأية حضارة أخرى، يضعون الحضارة الأوربية تحت ضوء مفضل براق.. وحتى امتحانات الذكاء كانت نتائجها تترجم بحيث تشير الى النقص ازاء الأوربيين..

سنكتفي هنا ببعض الأمثلة البارزة في هذا المجال :

مما كان يقوله (جالتون).. [١٢] : «ان عدد الموجودين بين الزنوج، والذي يلزم ان نسميهم (نصف أذكياء)، هو عدد كبير جداً.. والأخطاء التي يرتكبونها في أمورهم هي طفولية وغبية، بحيث تجعلني أشعر بالعار من أصلي (البشري) الذي انتسب اليه».

(10) Rubin & McNeil (... Being Human) PP.185 - 7

(11) Philip R.De Lacey , See: Oliverio - ed . (Genetics, Environment & Intelligence) Netherlands - 1977 , P.408.

(12) Galton - 1869 ... Fiskc - 1892

كما قال عالم الأحياء(فيسك).. [12] : «إذا أخذنا بنظر الأعتبار (تلافيف القشرة المخية)، فان الفرق بين مخ (شكسبيري) ومخ أحد متوحشي استراليا ، يكون بلاشك أعظم بمقدار خمسين مرة من الفرق بين ذلك الاسترالي واحد القرود من فصيلة (اورانكوتانك).. [13]

ثم جاء بعض الكتاب في ميدان الأجناس البشرية (الانثروبولوجيين - ١٩٢٢) فأظهروا أن العديد من البشر (غير الغربيين) كانوا ذوي «عقلية بدائية». لأن نوعية تفكيرهم تختلف عن تفكير الغربيين. [14]

الأمر الذي يثير العجب هو أن هؤلاء الكتاب يعتبرون التفكير الذي يختلف عن تفكيرهم هو تفكير (بدائي) فيطلبون من غيرهم ان يصبح مثلهم فيرضخ لمقاييسهم..

لننظر الى ما يقوله بعض المنصفين عن هذا الكاتب الذي حط من قيمة الزنوج وذكائهم : ان (فرانسس جالتون) الذي عاش في الفترة (١٨٢٢ - ١٩١١). المختص بالأحياء، والجغرافي والاحصائي والرحالة، الذي أوجد دراسة الفروق الفردية :

«كان اتجاهه مع الأسف غير علمي، لانه كان يخدم الاستعمار البريطاني بنشر أفكاره عن القابليات التي تنتقل من جيل الى جيل..».. [15]

كان (جالتون) متأثراً في آرائه بابن عمته (دارون) مؤلف كتاب (أصل الانواع)..

فقد كان ابن عمته هذا من الاسباب التي جعلته يؤكد على انحصار الذكاء في عوائل معينة.. ومن هذه النقطة طور أفكاره عن الذكاء في تحسين العنصر البريطاني.. لكن هذه الافكار ظلت تنتظر الادلة التي تبرهن على صحتها..

ربما هذه الحالة من عدم التأكد هي التي دعت بعض الباحثين الى القيام بخطوة جريئة... فقد جاؤوا بمقياس الذكاء (ستانفورد - بينيت) المنقح وطبقوه في بريطانيا (في سنة ١٩٦٠)، فظهر أن الممتازين بالذكاء هم نصف عدد المتخلفين عقلياً.. [17]

---

(13) Oliverio (OP.cit) P.409 (Orangutang)

(14) (Ibid) P.411

(15) Buss & Poley (op. cit) P.9 ... Fracis Galton

(16) Chs. Darwin (1809 - 1882)

(17) Pyle , David W. (Intelligence - an Introduction) London 1979 , P.28

لقد قلق بعض علماء النفس في الخمسينات. ثم جاءت نتائج قياس الذكاء فزادت من مخاوفهم، من أن معدل الذكاء في الشعوب الغربية – وخصوصاً الشعب الانكليزي – هو في حالة تدهور.. وقد اعتمدوا في ذلك على سلسلة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها بما يأتي :

(١) ان الذكاء صفة موروثة (تنتقل من جيل لآخر بواسطة الجينات).

(٢) ان المعروفين بذكائهم المفرط صاروا أقل عدداً لانهم لا ينجبون ؛ بينما أرتفع عدد المتخلفين عقلياً (هناك) في الاعوام الأخيرة..[١٨]

ومن بين من أصابهم القلق، الباحث المعروف (آيسنك) اذ راح يتساءل عن احتمال تدهور الذكاء في مجتمعه.. ولكنه بعد هذا يرجع الى المنطق فيقول : هناك مأخذ عظيم في المناقشة. وهو حقيقة أننا نعرف القليل جداً عن نوعية وأسلوب وراثة الذكاء..[١٩]

ومع كل ذلك، لم نسمع من المتبعين والدارسين غير الدعوات الى الحد من النسل، في غير بلادهم (في البلدان النامية والعالم الثالث) في سبيل الحفاظ على موارد الارض لحماية المستوى المعاشي الذي بلغته البلدان الرأسمالية..

هل اختار الله شعباً ..؟

طبيعة الانسان الاجتماعية تجعله ينتمي ويفخر بأنتمائه ، ولكن عليه الى جانب هذا أن لايمس حرية الآخرين وحقهم بالانتماء .. ويشير (رايت – ملز) الى أن اليهود اعتبروا انفسهم (شعب الله المختار)[٢٠]

(18) Eysenck , H. J. (Uses & Abuses of Psychology) England 1971 , P.83

(19) (Ibid) P.97

(20) Mills , C.Wright (The Sociological Imagination) G.B. 1973 , P. 147 - 8

كذلك انظر: د. عطوف محمود ياسين (اختبارات الذكاء والقدرات العقلية بين التطرف والاعتدال) بيروت –١٩٨١ ، ص ٧٠

وأكبر الظن ان الباحثين (روبن ومكنيل) يعتبران فكرة (شعب الله المختار) تستحق التنويه والاهتمام بها .. فمن قولهما الذي ينسبانه الى أحد المتبعين (١٩٧٢) : ان أطفال اليهود ، في المستعمرات الصهيونية يتقارب ذكاؤهم لأنهم نشأوا في عوائل اجتماعية متساوية .. بعد ان كان الفرق كبيراً بين أطفال يهود اوربا – بدرجة ذكاء = ١٠٥ – واطفال يهود شمال افريقيا والشرق الأوسط – بدرجة ذكاء = ٨٥ – يستنتج الباحثان من هذا ان البيئة (هناك) تؤكد على المهارات الفكرية التي يتطلبها اختبار الذكاء أكثر من البيت الشرقي .. (٢١)

لابد أن القارئ قد لاحظ أن فكرة «شعب الله المختار» من حيث الأساس . تستند على الوراثة .. أما الفكرة اعلاه والتي تنسب الى (أحد المتبعين) فهي تستند على عوامل البيئة .. ومن الواضح ايضا ان هناك مقارنة بين (البيت الشرقي) والبيت الاوربي .. وان أطفال (شعب الله المختار) قد انخفض ذكاؤهم بسبب بيئة البيت الشرقي (في شمال افريقيا والشرق الاوسط) .. كل هذا يجري في نقاش (علمي) معزز بدرجات الذكاء .. !

هلا يمكن اعتبار هذا اسلوباً من أساليب استغلال الابحاث العلمية لمقاصد عنصرية ..؟ او حملة مضادة للشعوب التي تسكن شمال أفريقيا والشرق الاوسط ..؟

الذكاء والعنصرية

من رافعي لواء عنصرية الذكاء الباحث (جنسن) ، اذ أنه يحوم حول نقطة جدلية تتلخص بنوعين من الفروق ، هما :
١ – الفروق الحضارية في الذكاء ، ٢ – الفروق العنصرية .. وان هذه الفروق في الذكاء موجودة كأمر مسلم به .. وأن السود ، مثلا ، اوطأ درجة في الذكاء من البيض عامة بـ (١٥) درجة .. (٢٢)

---

(21) Rubin & McNeil (... Being Human) P.181 -

(22) (Ibid) P.182 ... Arthur Gensen - 1969

طبعاً لا يمكن القول بان البيئة ، المتمثلة بالحضارة ، ليس لها ذلك التأثير الكبير على معدل الذكاء وعلى وجود الفروق ؛ ولكن (جنسن) فجّر القضية حين عزا السبب الأعظم الى الوراثة إذ اعطاها نسبة (٨٠) بالمئة من التأثير على الذكاء ، وراح يلوم الباحثين لأنهم يتغاضون عن العوامل (الجينية) خوفاً من عدم رضا المجتمع البشري .. وبهذا يظهر نفسه أكثر شجاعة من بقية الباحثين في هذا المجال .

الذي يخفف من وطأة العاصفة التي أثارها (جنسن) ، هو أن سيكولوجيين عديدين لغوا ماتوصل اليه على أساس أن حساباته كانت مغلوطة ، ودليله غير مضبوط ، واستنتاجاته غير منطقية ...[٢٣]

وفي التعليق على هذه الأمور يقول (الجسماني) ...[٢٤] «ان من يريد أن يزيف حقائق العلم ويعلل بأن الذكاء وقف على جنس دون آخر ، فذلك رأي مدحوض لايثبت أمام الوقائع الممحصة ، وان من يقول به انما يعبر عن رأي مشحون بالتجني على حقائق العلم والمنطق» ..

التفوق .. والسيطرة

حسبما يرى (دي ليسي) من جامعة (ولونكونك) في استراليا ، ان تقسيم البشر الى الوان وعناصر وطبقات ، انما كان في سبيل السيطرة على الأضعف .. فهو يقول «ان الذين يديرون شؤون العالم خلال القرن العشرين ، وربما قبل ذلك ، هم الأقوام البيض ..»

وكما لمح (جينكس – ١٩٧٢) ، فان من يمتلك القوة يميل الى الاعتقاد بأنه يستحقها ؛ بدل ان يظن انه حصل عليها بطرق اخرى .. مثلاً ، بشراء الضمائر ، وبالدهاء ، أو بالصدفة التاريخية» ..

---

(23) (Ibid) Loc. cit.

(٢٤) د. عبد علي الجسماني – استاذ علم النفس في جامعة بغداد.

وكلاحق للامتياز السياسي والاقتصادي لدى الشعوب البيضاء ، انبثقت العنصرية العالمية .. وهذا مما دعا (بيلي – ١٩٧٥) الى القول :

«هناك فروق كبيرة بين المجموعات والعناصر المختلفة فيما يخص الذكاء والشخصية والخصائص الخلقية .. وان تلك الفروق هي (بيولوجية) بطبيعتها .. ولهذا اصبحت احدى المجموعات العنصرية تمتاز على غيرها» ...[٢٥]

ان من يعتنق هذه الآراء يمكن ان يطلق عليه اسم : (عنصري) . وهو على الاكثر – مكروه ، ليس فقط لأنه يميز مجموعة بشرية على مجموعات اخرى ؛ وانما لأنه يذهب في التمييز الى حد يعتبر المجموعات الاخرى كلها منحطة ، تستحق الاستعباد . بل ولاتستحق الحياة ..

يبدو أن المتاجرة بالعبيد قامت على هذا الأساس .. وكان بيع الانسان وشراؤه باسم الخدم والجواري والفتيان (او تجارة الرقيق) ..

يقول (متز) : «كان تجار اليهود يستأثرون بأهم ماكانت تصدره أوربا . وهو الغلمان والجواري .. وكانت مدينة (براغ) أكبر سوق للرقيق في اوربا (في عام ٣٥٦ هـ = ٩٦٥ م) ..» ..[٢٦]

وفي أمريكا (حتى سنة ١٨٢٩ م) كان يعلن في الصحف عن مواعيد بيع العبيد (وتأجيرهم) بالمزاد العلني ...[٢٧]

---

(25) Philip R.Delacey, See : Oliverio (OP.cit) **P.406**

(٢٦) أنظر : ادم متز (**الحضارة الاسلامية**) بيروت – ١٩٦٧ ج٢ ص ٣٧٤.

(٢٧) انظر صورة لاعلان في :

Wrench, David (Psychology - a Socail **Approach) McGraw - Hill 1969 , P.280**

كرامة الانسان

في هذا القرن (في أواخر سنة ١٩٨٤) كتبت الصحيفة الناطقة بلسان منظمة الأمم المتحدة . تقول : « .. ربما يظن البعض ان استعباد البشر كان انحرافاً مزعجاً من انحرافات أيام غابرة ، أو من مخلفات الماضي القبيحة .. ولكن ، في اواسط الستينات ، كان هناك في العالم (٢٥٠٠٠٠) مستعبد – أي ربع مليون من العبيد (من رجال ونساء وأطفال تم بيعهم الى الأسياد الذين يسيطرون على جميع الحقوق بملكيتهم ..» .. [٢٨]

...هذا ماكشفه التقرير الذي كان تقديمه الى المنظمة الاقتصادية الاجتماعية في سنة ١٩٦٥ ..ومنذ ذلك الحين، لم يطرأ على هذا الوضع أي تحسن، رغم التوصيات التي قدمتها مجموعة في الامم المتحدة تعمل في متابعة شؤون الاستعباد. وهي تجتمع سنويا تحت مظلة : (اللجنة الثانوية لحقوق الانسان)..وكان اخر اجتماع لها في الفترة (من ٣٠– تموز/يوليو الى ٣–اب/أغطس ١٩٨٤...

...لقد انشئت هذه المجموعة من الخبراء المستقلين، من أجل فحص وتحري جميع مناطق الاستعباد وتجارة العبيد، بما في ذلك المتاجرة بالاطفال، والربط بمستندات الديون، والدعارة بالغصب والاكراه..» [٢٩]..

قانون القوة

لكن القوانين التي سنها البشر من أجل تنظيم علاقاتهم لاتتبع مايوحي به المنطق، وانما تتبع ماتفرضه المصالح.. يقول الفيلسوف الانكليزي (جون ستيورات مل) : «ان القوانين (والشرائع) التي توضع لتنظيم حياة الناس، تأتي من العادات والتقاليد التي تشيع بينهم، مهما كانت صحيحة أو خاطئة.. فقد اعتاد الناس، مثلا أن تكون المرأة تابعة فسنوا القوانين حسب تلك العادة..» [٣٠]

---

(28) (UN Development Forum) N.Y. ,Sep.1984

(29) (Ibid) PP. 1 & 12

(30) Mill, John Stewart (The Subjection of Women) London 1947 , Introduction.

وكلما أحست المرأة في المجتمعات المتقدمة بالحضارة–بأن حقوقها مهدورة وطالبت بصيانتها، وجدت ان هذه الحضارة قد نظمت نفسها بشكل يفرض تلك القيود، وباسلوب يشبه تنظيم الشركات (اسلوب التضامن).

من الامور المقدسة في تكوين الشركات، ان يعمل كل عضو على مد الشركة بالاسناد المادي (المال) والمعنوي (الدعاية والاعلان).. والقصد النهائي من هذا هو: ازدياد القوة والسيطرة والتفوق.. ان هؤلاء يسيرون بموجب الحكمة القائلة: (اليد الواحدة لاتصفق) ..فالتاجر لايمكن أن يحقق مايحققه عدة تجار تحت اسم واحد، أو شعار واحد (أو عصبية واحدة)... وهذه الشركة لايمكن أن تنجز ماينجزه اتحاد الشركات ، أو مايسمى بالـ (كربوريشن)..

ومن عوامل بقاء الاتحادات الكبرى، القضاء على من ينافسها ويحاول المساس بقوتها وتفوقها.. واكبر الظن أن مثل هذا المنافس كان من اسباب اثارة الحروب ،كالحرب العالمية بين دول (الحلفاء) ودول (المحور) –أو هو من الاسباب الكبرى– والمنافس (الالماني) كان اخطر من المنافس (التجاري).. إذ أن منافس المتاجرة والمال يمكن كسبه وضمه الى الاتحاد (الكربوريشن)، لكن المنافس الالماني (أو هتلر) مثلا، لم تكن روابطه معتمدة بالدرجة الاولى على المتاجرة.. كانت روابطه أصلب وأشد لانها تعتمد على رابطة الدم والتمييز القومي.. لهذا كان أشد خطرا على الاتحادات (أو العصبيات المالية)..

ومن هنا بدأ التوتر العنيف بين (هتلر) واعدائه (يهود المانيا) فأطلقوا عليه اسم: «المعادي للسامية».. أما (هتلر) فقال عنهم: «لقد سمنوا وأثروا على حساب تدهور الشعب الالماني.. لهذا فان اليهود ليسوا بألمان »[٣١]..

التعصب هنا اذن: هو تأليف (عصبة) يستند اليها عند الحاجة (أو دوما).. وكلما كانت هذه (العصبة أو الشركة) اكبر، كانت اقوى واكثر تفوقا.. والعرب، في رأي

(31) Lucas , Eric (What is Greatness?) Oxford 1967 . P. 136

(إبن خلدون)، لن تكون لهم قيمة إلا بتكوين مثل هذه العصبة (أو الشركة)[٣٢]..

من قصص العرب، أن حكيما جمع أبناءه ليوصيهم وهو على فراش الموت.. فأخذ عصيهم السبع التي يحملونها وربطها بشكل حزمة واحدة.. ثم طلب من كل واحد منهم أن يكسرها.. وبعد محاولاتهم الفاشلة، حل رباط الحزمة فكان من السهل كسر كل عصا لوحدها..

لوكان هذا الحكيم من أبناء هذا العصر لقال لأبنائه: أما شاهدتم (الفلم) الذي عرضه (تلفزيون بغداد) في مسلسل «عالم الحيوان».؟.. أرأيتم كيف أن كلبا صغيرا واحدا يهاجم قطيعا من الثيران البرية الضخمة، فتهرب أمامه راكضة لليمين مرة وللشمال مرة..؟

وبعد هذه المطاردة المتعبة، يتخلف الثور الأضعف عن القطيع.. فينهشه الكلب من كل جانب، ثم يغرز أنيابه في رقبة الثور، فيحاول هذا عبثا، التخلص من ذلك برفع رأسه وخفضه..

وتتوقف الثيران عن الركض (أو الهروب)، فتقف عن كثب تتطلع (بل تتفرج) على مايحدث لأخيها المسكين ..ثم تأتي كلاب أخرى لتعين في النهش من سيقانه.. فلا يلبث أن يسقط على الأرض مثخنا بجراحه، ليكون فريسة لجميع الكلاب..

وفي الدلالة على أن قوة (الشركة) تتفتت متى تغاضى كل عضو فيها عن مصلحة المجموع، يروي لنا (الميداني) قصة عن ثلاثة ثيران كن في غابة، أبيض وأسود واحمر.. وكان معهن أسد لايقدر على الفتك بأي واحد منهن لاجتماعهن عليه.. وفي يوم انفرد بالثورين الاسود والاحمر فقال لهما: «لايدل علينا في غابتنا الا الثور الابيض .. فان لونه مشهور، ولوني على لونكما.. فلو تركتماني آكله، صفت لنا الغابة.. فقالا: دونك فكله، فأكله.. فلما مضت أيام قال للاحمر: «لوني على لونك فدعني آكل الاسود لتصفو لنا الغابة» فقال: دونك فكله.. فاكله..

---

(٣٢) «في ان العرب يحكمون بالعصبية» انظر: (مقدمة ابن خلدون) ط دار العودة، بيروت ١٩٨١، ص ١٢١ – ٢٢ .. ط دار احياء التراث العربي، ص ص ١٢٨ – ١٣١.
و «في أن الرئاسة لاتزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية» هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية.. أنظر: ص ١٣١ حاشية.

ثم جاء دور الثالث. فقال له الاسد: اني اكلك لامحالة. فالتمس الثور الاحمر منه أن يدعه ينادي ثلاثا، فقال: افعل. فصاح «أيها السامعون..!.. ان الاسد لم يأكلني الان، فلقد أكلني يوم أكل الثور الابيض..!»[٣٣]..

يبدو أن «قانون الاقوى»، كما يقول الفيلسوف (مل)، «مبدأ كان ومازال، ينظم شؤون العالم.. بأستثناء واحد أو اثنين من البلدان الاكثر تقدما..»
أما أي البلدان يقصد بـ (الاكثر تقدما)، فهذا شيء لم يوضحه (مل).. واكبر الظن أن يكون بلده واحدا منها..
كان الصراع من أجل البقاء في العصور الغابرة يتم بقوة العضلات. أما في هذا العصر، فالصراع يجري بشكل تزاحم على الموارد الصناعية والزراعية وتحقيق الكسب المادي في مجالات التجارة..وهذه الامور هي التي جعلت التفوق الاقتصادي سندا لدعم الفرضية القائلة بان الذكاء اختص به قوم وحرم منه آخرون.. ولذلك قيل ان الرأسمالية ساعدت على تقوية الفروق الفردية[٣٥]..
كما قيل في تعريف هذه المدنية الرأسمالية: انها مجتمع يتخم فيه الراقص والمغني، ويجوع الشاعر والمفكر[٣٦]..

ان الرأسماليين جعلوا التفوق الاقتصادي عاملا حاسما في حياة الدول، بل وفي بقاء الشعوب.. ويبدو أن الكثيرين من الاقتصاديين لا يهمهم غير الكسب المادي .. ومن ينافسهم – بل وحتى من يسكن على هذه الارض من البشر– يؤثر على مصالحهم، ورخائهم ، وأمنهم..

---

(٣٣) قارن مع : المختارات من (مجمع الأمثال) لأبي الفضل احمد الميداني ، تحقيق : محمد علي قاسم ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٢ – ٢٣

(34) Mill ,J.S. (Op.cit) P.433

(35) Buss & Poley (OP.cit.) P.5

(٣٦) مجلة (حياتك) القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٨٤.

ثم جاء استاذ علم الاحياء بجامعة كاليفورنيا (د.كاريت هارون) فقالها على المكشوف، اذ رفع شعار : «الحياة لمن يكسب» ووضع ذلك بشكل نظرية أطلق عليها اسم « اخلاقيات قارب النجاة» والتي يفسرها بقوله:
«ان بلاد العالم الغنية تعيش الآن داخل قارب نجاة مزدحم.. أما(باقي) الدنيا فانها تغرق في بحر من الجوع .. ولو سمح أصحاب قارب النجاة للآخرين بالتشبث بالقارب والصعود اليه، فان القارب سوف يغرق في النهاية بكل من فيه..»(٣٧)

ولقد فطن المفكر (مكادو) الى الاساليب غير الانسانية التي ينتهجها الاغنياء، والى مايعاني العالم من عنصرية الذكاء، فكتب في (اللغة الاسبانية) كتابه المعروف: (الحق في أن تكون ذكيا)..

ان (مكادو) هذا يرى ان الانسان هو المسؤول عن كل مايحصل له.. فكل عبد انما أصبح مستعبداً من صنع يده(٣٨).. ذلك لان (مكادو) يؤمن بعدم وجود شعب جعل الخالق مصيره ليكون حقيرا أو منحطا..

ثم يعجب من أبناء الشعوب (النامية)، لانهم يحاولون المحافظة على (مواردهم)، ولايحافظون على (أدمغتهم)!.. فيقول:
«لئن كانت الفروق بين الشعوب يقررها الذكاء (الاكثر أو الاقل)، فكيف ، ياترى، يمكن لابناء البلدان الـ (تحت المتطورة) أن يستفيدوا من (تأميم) مواردهم– الطبيعية والمنتجة– إذا كانوا (لايؤممون) الادمغة التي وراء ذلك..؟»..

---

(٣٧) سيد مرعي (لكي نربح المستقبل) مصر ١٩٧٥ ، ص ٢٦.
(38) Machado , Luis Alberto (The Right to be Intelligent) Translated by : M. Wheeler , 1980 , P.47

ومن أقواله:

...لن يكون لأي قطر استقلال أو سيادة، مالم يضمن التحكم الذاتي في النواحي العلمية والتكنولوجية...

الذكاء (ومعطياته). إن هو الا موروث عام للانسانية[٣٩]..

(39) (Ibid) P.44

الفصل التاسع

قياس الذكاء

ذكاء بعض المشاهير

المقاييس الاجتماعية

كيف كانوا يقيسون الذكاء

خداع البصر

لغة العيون

اختبارات للذكاء

ذكاء الجامعيين

الاختبار الذي اعطي لكاتب السطور

مآخذ على اختبارات الذكاء

ماذا بعد هذا...؟

النظرة العلمية

الغايات العنصرية

السود اذكى

ذكاء بعض المشاهير

وضع أحد الكتاب [1] درجات لذكاء (٣٠٠) شخص من المشاهير في العالم، فكان معدل ذكائهم حسب هذه الدرجات (١٥٥) درجة. فقد أعطى لبعض أولئك المشهورين مثلا الدرجات التالية:[2]

السير فرانسس جالتون	=٢٠٠	موزارت	=١٥٠
جون ستوارت مل	=١٩٠	لونغفيلو	=١٥٠
فون غوته....	=١٨٥	توماس جفرسون	=١٤٥
صامويل تيلور كولرج	=١٧٥	جون ملتن	=١٤٥
فولتير.....	=١٧٠	بنجامين فرانكلن	=١٤٥
لورد تنيسون	=١٥٥	نابليون بونابارت	=١٣٥
سير والتر سكوت	=١٥٠	شارلس دارون	=١٣٥ [3]

الفرد الوسط في الذكاء بين الناس تتراوح درجته عادة بين (٩٠ و١٠٩).. الخط الفاصل بين المتخلفين عقليا والاعتياديين يمر بين الدرجات (٧٠ ــ ٧٩) تحت هذا يأتي (المرور=٦٩-٥٠) ثم (الابله=٤٩-٢٥) وتحته (البليد=٢٥ فأقل) ... اما درجات العبقرية فهي أعلى من (١٤٠)[4]..

---

(1) C.M. Cox - 1926

(٢) درجة الذكاء المقصودة هنا = I.Q. Intelligence Quotent

(3) Rubin & McNeil (... Being Human) P. 188f

(4) Hepner (OP.cit) P.274

الذي يمكن ملاحظته عن اسماء العباقرة أعلاه (١) - أن اختيارهم كان من الحضارة الغربية(٢)- كان الاختيار حسب الشهرة(٣)- والاسماء تنحصر في فترة معينة من فترات التاريخ الاوربي..(٤)- أما الدرجات المثبتة فمن الممكن توجيه اكثر من سؤال عنها: مثلا: كيف حصلت هذه المفاضلة، ولم توضع لهم اسئلة مقننة ومتشابهة؟ والمفروض أن درجات الذكاء تعطى نتيجة اختبار في اسئلة معينة..؟ والشيء المعروف هو أن اختبارات الذكاء ماكانت موجودة في أيام (جالتون) مثلا، فكيف أعطيت له (٢٠٠) درجة؟

فاذا اعتمد الكاتب (كوكس) على ماخلفوا من أعمال، فهل القضية بهذه السهولة بحيث يمكننا أن نقارن ذكاء (نابليون) في الحروب مع ذكاء (موزارت) في الموسيقى وذكاء (غوته) في التأليف والفلسفة..؟ واذا جاز لنا أن نقول ان (موزارت) كان أذكى في الموسيقى من (نابليون) أفلا نستطيع القول أن (نابليون) كان أذكى في الحروب من (موزارت)..؟

المقاييس الاجتماعية

لو رجعنا الى أيام (إبن خلدون) لوجدنا أن الناس في مجتمع زمانه يوزنون من حيث نشاطهم ومكانتهم بموجب نوع العمل الذي يمارسونه وقد كانوا على نوعين: اما صاحب سيف، واما صاحب مهنة.. والنوع الاول يأبى أن ينزل الى مستوى النوع الثاني.

من الناس من يظنون أن باستطاعتهم معرفة ذكاء الفرد من معرفة مهنته أو الحرفة التي يزاولها والهوايات التي يولع بها أو يمارسها، ومجالات الأنس والراحة التي يرتادها.. نعم، هذه تعطي انطباعا عن مستوى الذكاء ولكن في حد محدود.. مثلا، يكاد الناس يجمعون (حسب التصور العام) على أن بطل لعبة الشطرنج أرفع مستوى في الذكاء من بطل في الملاكمة.. أو (الحاسب) أذكى من بائع (الشربت).. [٦]

(٥) (مقدمة ابن خلدون) ص ٥٤٤ .. كذلك: د. علي الوردي (شخصية الفرد العراقي) ص ١٢.
(6) cf : Mowbray & Rodger (Psychology in Relation to Medicine) P. 191 - 92

كيف كانوا يقيسون الذكاء

في القرون الماضية كانوا يستنبطون درجة ذكاء الفرد ونشاط ذهنه من هيأة جسمه، وبطريقة مايسمى بـ (الفراسة).. يقول (إبن الجوزي) مثلا:
..اذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره.. ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدّة فهو مكار محتال لص.. واذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود.. ومن كان خيف الوجه فهو كثير الفهم ،مهتم بالامور.. واللطف في النحاف القصار[٧]...

يعتقد (دوبوين).. [٨] أن الصينيين هم أول من بدأ قياس السمات الشخصية (في حوالى ١١١٥ ق م)، وقياسهم ينحصر في مجالات مقدرة الفروسية، وركوب الخيل، والموسيقى والكتابة، والحساب.. [٩]

من الناس من يزن ذكاءك بميزان الكلام.. اسلوب التحية، الكلمات التي تستعملها في السلام.. هل تقول: (السلام عليكم) أم (صباح الخير) أم (مرحبا)؟.. فعند هذا الشخص، أن قولك: أهلا أو هلا، تختلف تماما عن قولك: (ياهله.. هلو). فالكلمة الاخيرة فيها كثير من التبسط ، وخصوصا اذا أضفت اليها (عيني) ..فحالما تنطقها تفقد كثيرا من لمعان شخصيتك .. ويكاد تأثير هذه الكلمة يشبه تأثير المزاح .. فالتبسط قد يعرضك الى مايجابهك عند المزاح.. وقديما قيل : لاتمازح لبيبا ، أو غير لبيب.. فاللبيب يحقد عليك وغير اللبيب يتجرأ عليك.. [١٠]

والواقع ان هذه المسألة تفتح بابا أمام الباحثين لمتابعة دراستها.. فقد ظلت تؤثر في الحكم على الشخصية.. فالشاعر العربي يرى أن اختيار الالفاظ يدل على شخصية الانسان، إذ قال: قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره.. [١١]

---

(٧) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن (كتاب الاذكياء) بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٣

(8) Du Bois - 1965

(9) Buss & Poley (Individual Differenees) P.3

(١٠) ع.م.ب (الشخصية – بين النجاح والفشل) ج١ ص ١٤.

(١١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج١ ص٢

وقد شاعت في أوائل هذا القرن طريقة تقدير الذكاء بواسطة الصور (الفوتوغرافية).. وهي كما يبدو نوع مما يطلق عليه اسم (الفراسة).. ولكن (فرنون)، في الثلاثينات، قد توصل الى أن دراسة الذكاء والعاطفة وخصائص الشخصية عن طريق الصور الفوتوغرافية قد أثمرت نتائج سلبية..[١٢]

خداع البصر

لاشك أننا جميعا نعتمد على حاسة البصر كثيرا، والواقع البشري يقول أن جميع الحواس محدودة القدرة وغير دقيقة.. فلو كانت حاسة البصر عندنا أكثر حدة وقدرة.. لو كانت أعيننا بدقة المجهر (الميكروسكوب)، لرأينا السطح الناعم خشنا، ولظهرت على جلد الانسان غابة الشعر أو مايشبه الوديان والتلال والحفر..

ولان البصر محدود الامكانية فانه ينخدع بسهولة.. ففي المسافات مثلا يظن البعيد قريبا..

لو سألت أعرابيا (من المعروفين بالمشي في الليل) عن الدليل الذي يهتدي به في تقدير المسافات ليلا لنصحك قائلا: (اتبع العويص.. ولاتتبع البصيص..).. أي أن الصوت (عويص الكلب، مثلا) كثيرا مايكون أقرب اليك من الضوء (بصيص النار)..معنى هذا أن البصر ينخدع بالضوء فيظنه قريبا..

ومن الفنون التي تستند على خداع البصر، هذه الصور التي تعرضها (السينما) أو يعرضها (التلفزيون).. وخداع البصر هنا هو الذي يجعلنا نتصور (بل نعتقد) أننا نرى أجساماً تتحرك.. والواقع أننا نرى صورا ثابتة مفصولة عن بعضها، كل صورة داخل اطار من نفس الحجم.. وكل واحدة منها تصور جزءا ضئيلا من الحركة..

اننا في الحقيقة نرى (١٦) صورة جامدة عديمة الحركة في الثانية تعرض متتابعة..[١٣]

---

(12) Westcott (... Psychology of Intuition) P.58 ... Quoting : Vernon - 1933

(13) Mowbray & Rodger (Op.cit) P.168

يمكن الاستنتاج من هذا انه ليس كل مانحسه أو نراه هو مطابق للحقيقة والواقع.. ولو لم تنخدع حواسنا بهذه السهولة لكانت الحياة أصعب وأشق من شكلها الان..

سئلت زوجة تلبس النظارات الطبية مرة: لماذا تتركين نظاراتك في البيت حين تخرجين مع زوجك؟! فاجابت[١٤]: «لكي أرى زوجي بشكل أجمل مماهو في الحقيقة..»

وكذلك حاسة السمع .. لو لم تكن محدودة بطبقة صوتية معينة ،لكانت الحياة كارثة.. هل كنا نستطيع النوم لو كانت اذاننا تسمع بوضوح اصوات النمل.. أو صراخ الحشرات الدقيقة الاخرى..؟

لغة العيون

القول السائر: (أنت انسان عيني) يقصد به «البؤبؤ» والصورة المنعكسة فيه.. وهكذا قول الشعبيين (بيي عيني) وقول بعض الاوربيين (تفاحة عيني)[١٥]، وحين يتكلم الشعراء عن المقلة، فالمقصود من كل ذلك هو ان العين هي النافذة الى الروح .. أو كما يقولون بالاسلوب العلمي: انها الجزء الوحيد المرئي من الدماغ..

يدعي المؤلف (جانيس)، الذي الف كتابا في علم الاحداق[١٦] ان من دراسة حدقة العين (والبؤبؤ) نستطيع معرفة سلوك الفرد ونشاطه وذكائه.. لكن المتتبعين في علم النفس لم يدرسوا هذه النافذة بقدر دراستهم لـ (نبض القلب) مثلا، أو (ضغط الدم)..

وهذا يذكرنا بالفكرة الشائعة عند الشعبيين عن (لغة العيون) وان العين تفضح أسرار الفكر والاحاسيس العاطفية..

---

(14) The (R.D.) Magazine , 1960

(15) "The Apple of my eye"

(16) Janisse , Michel Pierre (Pupil ometry) Washington D.c.

ولكن المؤلف بعد هذا عاد ليتشكك في صحة كون العين وسيلة اتصال. فطعن المعاني الشعرية والخيال السحري وماتتضمنه (لغة العيون) طعنة أصابت الصميم.. وهذا يشبه مافعلته سفرات استكشاف الفضاء بالقمر. اذ سلبته اجمل صفاته حين اظهرت انه احجار وصخور باردة .. ففقد بذلك سحره الجمالي وروعته العاطفية..

يقول المؤلف (جانيس).. من الصعب مزاولة الفكرة بان البؤبؤ يؤدي دورا كبيرا في الاتصال غير اللفظي.. نعم، أن بعض الدراسات قد أظهرت أن البؤبؤ هو أفضل في قياس التفكير من (نبض القلب). بينما هناك احدى الدراسات تظهر أن (ضربات القلب) أفضل لقياس العاطفة من حجم البؤبؤ «أما الذكاء فهو شيء اخر.. انه حقل مازال غير مكتشف، والمؤلف اخر من يؤيد الفكرة القائلة بان حجم البؤبؤ (أو اتساع الحدقة وضيقها) يمكن أن يعطي تقديرا لدرجة ذكاء الفرد..»[١٧]

اختبارات للذكاء

بما أن هذا الكتاب (الذي بين يدي القارئ الان) ليس من المقررات المدرسية (أو ليس أكاديميا) فانه سيتحاشى الاختبارات المختلفة التي وضعت للكشف عن الذكاء كاختبار (بينيه) الذي جرى به اختبار (٣٠٠٠) طفل. وبعد وضع التعديلات عليه في جامعة (ستانفورد) صار يعرف باسم اختبار (ستانفورد – بينيه)[*] ولن يعطي شرحا لمقياس (ويجسلر) الذي بواسطته قيس ذكاء المتخلفين عقليا.

أو تلك الاختبارات التي اجريت في مختلف الولايات الامريكية مثل: (الينوي) و (منيسوتا) فاطلق عليها اسماء تلك الولايات..

---

(17) (Ibid) P.170

(*) استخدم في بريطانيا (سنة – ١٩٦٠)، ثم بشكل منقح (سنة – ١٩٧٠) فظهر بنتيجة ان الممتازين جدا (العباقرة الذين فوق درجة ١٣٩) هم نصف نسبة المتخلفين عقليا (الاوطأ من درجة ٧٠).
ef : Pyle , David W. (Intelligence - an Introduction) P.28

نعرف أن الطلبة في جامعات العالم لم يصلوا الى هذه المرحلة الدراسية إلا لان لديهم من الذكاء مايكفي لتأهيلهم لهذه الدراسة. ولكن بعد اجراء اختبار لذكاء هؤلاء الجامعيين مرة ، وجد (ماك كنون).. [١٨] بينهم من كان مستواهم واطئا نسبيا في ذلك الاختبار.. بينما كانت مستوياتهم عالية في الانجازات العلمية والذهنية.. [١٩]

ربما هؤلاء الطلبة لايؤمنون باختبارات الذكاء .. وكذلك الحال مع الاطفال الذين يختبر ذكاؤهم باسئلة لايتلذذون بها ، أو بمواقف لاتثير اهتمامهم ولايشعرون أنها جزء من العابهم..

الاختبار الذي أعطي لكاتب السطور

انه اختبار كان من الواجب أن يجتازه بنجاح كل من يروم الدخول في الجامعات في أوائل الخمسينات.. ولانه كان تجربة متعبة فان الذاكرة لم تحفظ الا الشيئ القليل عنه..

١ – كان طويلا طويلا–يتعدى المئة سؤال ، وربما يصل المئتين، والاسئلة معززة بفروع..

٢ – كان يكشف عن مختلف أنواع المعرفة البشرية العامة.

٣ – لقد تضمن أسئلة عن العلاقات الاجتماعية ، وكيف يعتبر السلوك مؤدبا..

٤ – قال المشرف على سير العملية ان الاختبار غير محدد بوقت.. ترى ما الغاية من وجود مشرف في الوقت الذي كان الممتحن (بفتح الحاء) وحده ، ويبتغي أن يظهر شطارته فيجيب على كل الاسئلة.. لانه موضوع تحت الضوء ،ولان نجاحه يعني سمعة بلده؟

كما لايمكن أن يغش حتى لو كانت عن يمينه وشماله علوم الاولين والاخرين.. أولا: أين يجد الوقت ؟ وثانيا: ليس لديه المعرفة بكيفية البحث السريع في المصادر

(18) Maç Kinnon - 1966

(19) Mowbray & Rodger Op. cit P.224

العلمية... وأي مصدر ياترى يوجد فيه الجواب لسؤال كالاتي: إذا عضك كلب، فماذا تقول لصاحبه؟

٥ – كان يعتمد على الحدس والتخمين في معرفة معاني الاسئلة. وباختصار شديد، انه كان اختبارا يعتمد على المهارة اللغوية. والممتحن كان مبتدئا في هذا الحقل انذاك.. لهذا كان خلال السنة الاولى كثير الاستعانة بالقاموس.

مآخذ على اختبارات الذكاء

أ – درجات الامتحان المدرسي أفضل: هناك عوامل تنبئنا بالنجاح في المدرسة أفضل من اختبار الذكاء.. وقد مرت سنين عديدة كانت النتائج الامتحانية تتنبأ بنجاح الفرد في أعماله ومستقبله لحد (٨٠) بالمئة، بينما كانت الدرجة التي يعطيها اختبار الذكاء لاتدل على اكثر من (٧٠) بالمئة على وجه التقريب[٢٠]..

ب – وكما يعتقد بعض الباحثين ان الدرجة الحاصلة من اختبار الذكاء (والتي يسميها اساتذة علم النفس: حاصل الذكاء (ح ذ)[٢١] تميل كثيرا لان تتصل بالدرجات المدرسية. ونوعية الاسئلة كثيرا ماتكشف عن المعرفة..[٢٢]

ج – يعترف (تولشن) قائلا: مع الاسف ان موادنا الاختبارية لاتعطي وزنا للعوامل التالية:

١ المقدرة أو المهارة اللغوية..
٢ أساليب الاسئلة اذا كانت مألوفة أم لا.
٣ هل تتبدل الاسئلة حينما يعرف السبب الداعي لها..؟
٤ الشعور بالانتماء والاحساس بالطمأنينة[٢٣]..

د لأجل ان نتمكن من الاعتماد على أي اختبار في قياس الذكاء يجب أن يعطي

---

(20) Vroon , Pieter (Intelligence) U.of Leiden - 1980 P.140

(٢١) ترجمة للمصطلح I.Q = Intelligence Quotent

انظر مثلا : د.نوري الحافظ (المراهقة) ص ص ٩٠ – ٩١

(22) Rubin & McNeil (... Being Human) P. 167

(23) Tulchin (Intelligence & Crime) Chicago - 1969, P 28 n.

ذلك الاختبار نتائج ثابتة.. فالمتر الذي نقيس به الابعاد. اذا كانت مادته تتغير بدرجات الحرارة (يتقلص ويتمدد بهذه الحرارة) فهو مقياس غير صالح ولايعتمد عليه..

هـ - وإذا اعطيت مادة الاختبار نفسها بعد فترة من الزمن الى نفس الفرد فانها لاتصلح اختبارا للذكاء لانها تختبر مايتذكره هذا الفرد عن الاسئلة وعن اجاباته في المرة السابقة.. مثلما يستخدم أطباء العيون لوحات تتغير من وقت لاخر. لكي تقيس البصر لا الذاكرة..

و - ومما يعتبره بعض علماء النفس من المآخذ على اختبارات الذكاء أن الكثير منها يؤكد على السرعة في الاستجابة.. (مثلا: اختبارات (هنمن - نلصن) تحدد وقت الاختبار بنصف ساعة[٢٤].. فالسرعة حسبما يرى أولئك العلماء. لاتدل على الذكاء دائما..[٢٥]

مما تحفظه ذاكرة كاتب السطور يوم كان في السنة الاولى الابتدائية. إذ طلب اليه المفتش الزائر أن يقرأ في كتاب القراءة (الخلدونية). في الصفحة التي عليها صورة (باب) ..فراح التلميذ (الصغير جدا) يقول بسرعة:

(باب.. بابان.. بابي - ناب نابان نابي..) دون أن يعرف معنى مايقول ودون رؤية الكلمات على الصفحة المفتوحة أمامه ..انه لم يكن ذكيا في القراءة،وانما كثرة التكرار أكسبته السرعة في الترديد.

ز ان من يمتحن مجموعة من الناس يكون مؤيدا لأولئك الذين يشبهونه في السلوك.. الخ.. ويتعاطف معهم. أو يرشحهم للاعمال الهامة[٢٦]

---

(٢٤) انظر : ضياء الدين ابو الحب وزميله (اختبار القدرة العقلية العامة) ط٢ - ١٩٧٠.
Henman - Nelson Test of Mentality 1946

(25) Donceel (op.cit) P.215 - 16

(26) Allport G.W. (Personality - a Psychological Interpretation) London - 1962, P444

ح - ان اختبار الذكاء لايقيس جميع القابليات.. فالناس يختلفون تبعا للخبرة. والموهبة الطبيعية، ونوعية التربية.. وقد انتقد الباحثون مقياس: (بنتر)..[٢٧] لانه لايقيس كل القابليات، بل يقيس نتفا، أو نماذج، أو اعراضا من قابليات الانسان..[٢٨]

القضية هي أن الذكاء يتعامل مع الاشياء، ومع الكلمات، مع الناس ومع الرموز.. يتعامل مع فرشاة الأصباغ أو المنشار، كما يتعامل مع الاستجابات الكلامية.. وهذا مادعا بعض الباحثين الى وضع اختبار يتضمن على الاقل (١٢٠) حقلا من حقول القابليات الفكرية..

والى جانب كل هذا، فان الذكاء تختلف درجاته وتختلف مقاييسه لان نفس الذكاء ليس من السمات الثابتة (كلون العين مثلا).. بل هو متغير مرن (مثل حالة الانسان الصحية)..[٢٩]

ماذا بعد هذا..؟

في وسط هذه الضجة من الاراء والتطبيقات، تبرز مسألتان..
الاولى: تمثل النظرة العلمية الخالية من شوائب الاستغلال لأجل المصالح..
والثانية: توضح كيف استغلت اختبارات الذكاء في ترسيخ العنصرية..

النظرة العلمية:

وقد تمخضت هذه عن ظهور النظرية الحديثة التي كان نشرها في ربيع سنة ١٩٨٣.. الجديد في هذه النظرية أنها تخالف الطرق التقليدية المتبعة في قياس الذكاء..[٣٠]

---

(27) Pinter - 1921

(28) Hepner (op. cit) P.276 - 77

(29) Rubin & McNeil (Op. cit) P.184

(٣٠) تفضل الدكتور عبد علي الجسماني باطلاع كاتب السطور على نص ماورد حول هذه النظرية :
(K - ABC)Kaufman Assessment Battery for Children

فكما أن (كننغهام) قال بأن درجة الذكاء يجب أن تقيس النشاط..[31] كذلك قال الباحث (ألن كوفمان) والباحثة (نادين كوفمان)..[32] في نظريتهما الحديثة التي تبين معنى النشاط المقصود..

أن جوانب عديدة من الموازين التقليدية لقياس (حاصل الذكاء) في الواقع تقيس المعرفة الموجودة لدى الطفل قبل الاختبار - تقيس الانجاز - بدلا من قياس قدرة الطفل على مزج المعلومات وقدرته على حل المشاكل في ضوء هذا المزج..

النظرة الحديثة هي: أن الذكاء يجب أن لايحدد تعريفه فقط بالنسبة الى المنبه (الكلامي، أو غير الكلامي).. وانما يلزم تعريفه حسب طريقة تحليلنا للمعلومات ومزجها استجابة لذلك المنبه (سواء كان كلاميا أم غير كلامي)..[33]

خلاصة ماقام به المؤلفان (كوفمان) على مدى أربعة أعوام ونصف، هو وضع سلسلة أسئلة تختبر ذكاء الاطفال الذين تتراوح اعمارهم مابين (٢،٥ - ١٢،٥) سنة، بموجب هذه النظرة الحديثة عن الذكاء..

الغايات العنصرية

هنا كان استغلال الاختبارات لاجل مقاصد عنصرية.. اذ على الرغم من كل المآخذ الموجهة نحو تلك الاختبارات، وكل الهفوات الموجودة فيها، استمر الباحثون على اجرائها..

وعلى الرغم من علمهم بانها لاتقيس الفرق بين السود والبيض، فقد قالوا بان هناك فرقاً (من ١١ - الى ١٥ درجة) في الذكاء لصالح البيض، مع علمهم بان ذلك يمكن الطعن به.. لأن الاسئلة، وإن كانت توصف بـ (الحياد العلمي) وبكونها تمثل (الاختبار المنصف والعادل) فانها كانت مصممة لسكان شمال أمريكا البيض[34].

---

(31) Cunningham (Intelligence ...) P. 125

(32) Alan Kaufman: Professor of Psychology.. Nadeen Kaufman: Psychologist in Learning disabilities ..

(33) (Counter Point) Nov . 1982, U.S.A. PP 1& 22

(34) Buss & Poley (op.cit) P.227

وهؤلاء لهم تربية خاصة، وتنشئة أبوابها مغلقة أمام السود «ومن الصعوبة مقارنة البيض بالسود في الذكاء، لان النظام التعليمي مختلف لكل منهما..»(٣٥).

..وهناك من يرون أن الاختلاف موجود ولابد من وجوده، الا أنهم لايعزون ذلك الى النظام التعليمي وحسب، وانما للاختلافات البيئية بصورة عامة..

وحتى في البيئة الواحدة (في الولايات المتحدة ، مثلا)، ان عدم امكان مقارنة الذكاء بين البيض والسود هو «لوجود التمايز العنصري الذي يمارس ضد الزنجي (في التربية، والاجتماع ، والمهنة).. اضافة الى كل هذه الامور – وليس أقلها– رأي الباحث نفسه، واتجاهه في التحامل والتفرقة..»(٣٦)

وظهر من دراسة أجراها (واينبرك)(٣٧).. وزميله، أن الاطفال السود الذين تبنتهم ونشأتهم عوائل بيضاء (في منيا بوليس، وبمستوى معاشي أعلى من البيئة التي ولدوا فيها)، ظهر ان حاصل ذكائهم كان أعلى من المستوى المتوقع لهم..(٣٨)

ياترى ما الذي كان يحصل لو أن اولئك الاطفال قد تبنتهم عوائل من السود المحظوظين، الذين لهم نفس الامكانية المعاشية التي لدى البيض..؟

ان اصرار الباحثين ومثابرتهم على اثبات صحة وجود الفرق، هو في سبيل عزل السود ووضعهم في مستوى معين (أدنى) وبهذا يحرمونهم من الفرص التي تمنح للبيض.

وقد صار العديد من علماء النفس يطالبون بايقاف مثل هذه الاختبارات الموجهة عنصريا محتجين بأنها توقع أذى كبيرا، اذ تضع الطلبة في طبقات (السريعين والبطيئين في الفهم).. اضافة الى ان تقسيمهم الى اصناف ومستويات يمكن أن يؤثر على فكرتهم عن أنفسهم، وعلى نظرة الاخرين عنهم..

هذه الاختبارات تكشف عن التمييز العنصري ضد السود والمكسيكيين والاقليات الاخرى..

---

(35) (Ibid) P. 227 - 28

(36) Mowbray & Rodger (op.cit) P. 233

(37) Weinberg - 1975

(38) Rubin & McNeil (op . cit) P. 183

وان كشف هذا التمييز (العنصري) هو الذي أثار (في كاليفورنيا) قضية منع اختبار الذكاء بشكله التقليدي.. «وقد سُمع عن تشريع (هناك) من أجل تحريم الاختبار العقلي الجماعي على أساس أن مثل هذا الاختبار يضع حدودا على التربية التي يحصل عليها الاطفال السود..»(٣٩)

ثم جاء الباحث المختص في علم النفس (روبرت وليمز)(٤٠) فقدم ردا على اساليب تلك الاختبارات التي تصم الزنوج بقلة الذكاء وانحطاطه.. اذ جاء باختبار أثبت من خلاله أن السود أعلى ذكاء من البيض..

السود أذكى:

يقول الاستاذ (وليمز): «ان العنصرية العالمية هي جزء من الحرب العنصرية الصامتة.. وان المسهمين فيها يستعملون اختبارات الذكاء مثل استخدام القتلة المأجورين لاغيال الناس»..(٤١)

بأعتقاد (وليمز) أن اختبارات الذكاء القياسية مثل (ستانفورد– بينت) و(تشسلر) هي منحازة لصالح قيم البيض وحضارتهم.. وليس مما يثير الدهشة– من هذا المنظور– أن يسجل البيض درجات أعلى من السود في هذه الاختبارات..

ولأجل طرح نقطته هذه، سارع (وليمز) فوضع اختبارا منحازا الى جانب حضارة السود.. فقد اختار (١٠٠) مفردة لفظية من قاموس اللهجة العامية الافرو – أمريكية، ومن معرفته الخاصة في ثقافة السود (وهو نفسه أسود).. فأطلق على مجموعة أسئلته اسم (اختبار ذكاء السود للتجانس الثقافي) أو مايسمى باختصار (بتش)..(٤٢)

---

(39) (Ibid) PP . 174 - 5

(40) Robert L. Williams - 1974

(41) Cf: Rubin & McNeil (Op.cit) P. 176

(42) BITCH = Black Intelligence Test of Cultural Homogencity

فيما يلي نموذج لخمس مفردات من هذا الأختبار، بآخر شكل تطورت اليه الاسئلة :-

أشر على الحرف الذي يعطي المعنى الصحيح لكل تعبير كما يستعمله الناس السود:

١ - الدمغة

(أ) حالة مسببة عن ضربة قوية
(ب) اقامة دعوى
(ج) سيارة
(د) نوع من الرقص

٢ - تمشية لعبة

(أ) كتابة صك مغشوش
(ب) البحث عن شئ
(ج) ادارة سباق
(د) حصول الفرد على مايريد من شخص اخر

٣ - النزول

(أ) السيطرة
(ب) السفر
(ج) انخفاض الموقع
(د) له صلة بالجنس

٤ يضبط اتجاه

(أ) يغادر
(ب) يغضب
(ج) يجلس
(د) يحمي الجار

٥ - ساق

(أ) معنى جنسي
(ب) أحد الاطراف السفلى

(ج) انسان أبيض

(د) طعام

الاجوبة :-

١ =د / ٢ = د ٣ = د / ٤ = ب

٥ = أ

وليس غريبا أن (وليمز)، حين أعطى الاختبار الى (١٠٠) اسود و(١٠٠) أبيض من المراهقين، قد وجد أن السود حصلوا على درجات أعلى بكثير من درجات البيض.. ثم استنتج من هذا قائلا: «من الواضح أن الاطفال السود، لو أعطي لهم اختبار بثقافة معينة - اختبار يمثل خلفياتهم - فسيؤدون ذلك الاختبار بصورة أفضل من الاطفال البيض..»[٤٣]..

(43) (Psychology Today) Magazine ... Quoted by : Robin & McNeil (Loc. cit)

الفصل العاشر

من اين يأتي الذكاء...؟

هل الذكاء موروث...؟

القصة العربية

الغصون اذا قومتها...

التبلور الاجتماعي

نقاط تستحق المناقشة

الدرس الذي تعلمه الاستاذ

من اين يأتي الذكاء...؟

قالت الحكمة العربية: (من أشبه اباه فما ظلم).. والتأكيد على النسب، وخصوصا من جانب الاب، له كبير الاثر على سلوك الناس أيام زمان.. يقول المسعودي: «يشبه الولد أباه وأهل بيت أبيه»[1].. ولكي يعرف الاعرابي رجحان نسبك، ماأكثر مايسألك: (من أي العمام أنت؟).. أما الذين يفضلون جانب الام، فيعتقدون اعتقادا جازما بان: (ثلثي الولد على الخال). كما انهم يرون أن (حليب الام) هو الذي يعطي الخلق والضمير والذكاء، فيقولون لك: (انت وحليبك)!

هل الذكاء موروث..؟

محاولات العلماء كثيرة للكشف عن ذكاء الانسان، هل هو موروث..؟.. وكم يرث الفرد من ابائه وأجداده؟.. وهل العباقرة دائما ينحدرون عن أجيال من الامهات والاباء العباقرة؟..

وهل الغبي دائما لايخلف غير أمثاله من الاغبياء..؟

الكتابات كثيرة في هذا المضمار.. وحرصا على الوصول الى الفكرة بأقرب الطرق، واختصارا للمعلومات المتشابهة، فسيجد القارئ في هذا الفصل قصتين من مكانين مختلفين في العالم.. وهما توضحان مايحصل للانسان إذا مانشأ وحده وتربى بعيدا عن أبويه، وخارج المجتمع وتأثيراته.. ترى ماالذي يكتسب من البيئة التي حوله؟.. وهل يأتي مشحونا بالذكاء والمعرفة وغير ذلك من أمور انحدرت اليه عن طريق الوراثة؟..

القصة الاولى عربية. رواها أحد الفلاسفة العرب المشهورين.. والثانية فرنسية. دارت أحداثها في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

---

(١) المسعودي ، ابو الحسن (مروج الذهب ومعادن الجوهر) القاهرة - ١٩٦٧ ، جـ٢ ص ٢١٣

وقعت حوادثها في جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء، بها شجر يثمر نساء، وبها يولد الأنسان من غير أم ولا أب وهي التي ذكر (المسعودي) أنها جزيرة (الوقواق)..[٢]

يقول الفيلسوف (بن طفيل): ان بطل القصة لايعرف أبويه، لأن هذا الولد (حي بن يقظان) مشكوك في أمر ولادته..

«...فمنهم من بت الحكم وجزم القضية أن (حي بن يقظان) من جملة من تكون في تلك البقعة من غير أم ولا أب..»[٣]

ومنهم من أنكر ذلك، وروى أن أحد ملوك الهند منع أخته الجميلة أن تتزوج قريبها (يقظان) لأنه ليس كفوا لها.. لكنها تزوجته سرا وولدت منه الطفل المسمى (حي)..ثم خافت على طفلها من سطوة أخيها، فوضعته في تابوت ثم قذفت به في البحر.. فحملته الامواج، والريح، وارتفاع المد الى جزيرة (واق واق)، حيث أرضعته غزالة (أو ظبية) فقدت صغيرها بعد ولادته..

اذا كان (حي بن يقظان) قد ولد بالطريقة التي يتصورها (ابن طفيل) – أي بطريقة ولادة أول انسان على الارض (جدنا ادم) – وهي من تخمرات الطين، وبفعل الحرارة المعتدلة فوق تلك الجزيرة – فان اية مواهب أو قابليات تظهر على سلوك هذا المخلوق لايمكن أن تنسب الى الوراثة لانه لم يولد من أم وأب ليرث عنهما صفاتهما.. فذكاؤه في هذه الحال: اما أن يكون مخلوقا مع بقية اجزاء جسمه. وبهذا

(٢) ابن طفيل، ابو بكر (حي بن يقظان) بيروت – ١٩٧٨ ص ١١٧... وانما أطلق على الجزيرة هذا الاسم، لأن الفتيات اللواتي من ثمار تلك الاشجار متدليات من شعورهن ويصحن : واق.. واق ..

(٣) (المصدر السابق) ص ص ١٢١ – ١٢٣ ... هناك شبه جزيرة في المحيط الاطلسي على الساحل الأمريكي (في منطقة جزر الهند الغربية) تدعى : (يقظان (Yucatan وكذلك قنال بنفس الاسم.. لقد تفضل الاستاذ (صالح مندو) فأطلع كاتب السطور على (أطلس العالم) الذي يوضح ذلك .. وربما هذا له صلة بالموضوع .. انظر :

(The World Atlas) G.Philipe & Sun , PP.82, 83

يكون من العدالة أن يأخذ كل انسان مخلوق بنفس الطريقة نصيبه العادل من الذكاء.... واما ان تكون المؤثرات الخارجية (أو البيئة التي على الجزيرة) هي التي أكسبته ذكاءه.

أما اذا كان حقا ابن ذلك الرجل (يقظان) الذي تزوج الفتاة الجميلة أخت ملك الهند، فهنا يدخل عامل اخر غير المؤثرات البيئية..

وربما اذ ذاك يستطيع المتحمسون للوراثة أن ينسبوا ذكاءه الى العائلة المالكة التي انحدر عنها...

ولكن مع الاسف، ليس هناك من دليل قاطع على أن جميع الملوك اذكياء..

كاتب هذه السطور يؤيد الفكرة الاولى.. لان القصة، حسبما تظهر لقارئها، انما هي من الروايات التي يطلق عليها في عصرنا هذا اسم: (قصص الخيال العلمي).. والدليل على ذلك: هو ان كثيرا من كتاب الرواية العالميين قد نسجوا على منوالها...

وفي بعض الحلات، أخذوا نفس الاحداث فوسعوها وعملوا منها المسلسلات.. وليس بعيدا عن الذاكرة روايات (طرزان) في الادغال (أو الغابات) أو الروايات السينمائية التي يقوم ببطولتها الممثل الهندي (سابو).

والدليل الاخر، هو أن مسرح الرواية، جزيرة (واق واق)، ذكرها المسعودي مع الاساطير والخوارق عن الجن..

كما ان نفس وجود الاشجار العجيبة التي تثمر النساء وهن معلقات على الاغصان من شعورهن، واذا لمست احداهن تسقط ميتة.. انما هو أمر من أعجب الاساطير..

أما لماذا أصبح (حي بن يقظان) الى هذه الدرجة من الذكاء، بلا معلم، فهذا ماأراده مؤلف الرواية..ان الفيلسوف (ابن طفيل) ابتكر هذا الاسلوب القصصي الجذاب فجمع أهم ماتوصل اليه هو من معلومات في الطب، والفلك، والجغرافيا، والفلسفة، وعالم الأرواح، فاودع كل ذلك في ذهن (حي بن يقظان) ليكتشفها هذا بطريقة استقرائية سلسة..ثم جاء بشخصية (أسال أو أبسال) من مجتمع آخر ليكون عاملا للمقارنة مع (حي) ومصدرا لتعلمه اللغة والعلاقات الاجتماعية..

يبدو أن (ابن طفيل) كان يدري أن الانسان لايتعلم اللغة بلا معلم والا لبقي (حي) يقلد أصوات الحيوانات أو يستعمل الاشارات ..ولاندري بعد هذا كيف كان سيناقش في أمور الفلسفة والميتافيزيقيا..

القصة الفرنسية

حوادث هذه القصة واقعية حسبما تثبتها التقارير والوثائق الرسمية في فرنسا. وقد جرت تلك الأحداث بين باريس وغابات (أفيرون) المجاورة للمناطق الريفية.

لاحظ الريفيون هناك طفلا يركض بين الحيوانات البرية ويختفي في اعماق الغابة..وقد شوهد عند هروبه مرة أو مرتين يركض على الأربع..وحين قبضوا عليه كان عاريا..[٤] وبتقدير المسؤولين في باريس كان عمره يتراوح مابين (١٢ – ١٣) سنة ولايعرف التفاهم بلغة البشر..

المهم في القصة أن الحاكم المسؤول هناك قرر أن يوضع الطفل تحت اشراف البروفسور المعروف (ايتار)..[٥] لكي يدرس أحواله وليقوم بتنفيذ برنامج لتعليمه اللغة والامور المدنية الاخرى..

قصة هذا الولد الذي اطلق عليه فيما بعد اسم « فكتور » لها اهمية كبيرة بالنسبة لموضوعنا..وتأتي اهميتها من الأمور التالية:

---

(٤) المعلومات المفصلة عن الولد المتوحش الذي عثر عليه في تلك الغابات قد جمعها المؤلف (لين) في كتاب احتوى (٣٥١) صفحة ترجم الى الانكليزية ونشر في (بوسطن) أول مرة .. ثم طبع في (لندن) سنة ١٩٧٧.

(5) Prof. Itard

١ – أن هذا الولد نشأ وترعرع بين الحيوانات بعيدا عن تأثيرات المجتمع.

٢ – قضى في هذه البيئة أول (١٢) سنة من عمره..أي انه لو عاش بين المجتمع البشري لكان في السنة السادسة الابتدائية أو حواليها.

٣ – ان الصدفة هي التي هيأت تلك الاحداث فاستفاد منها عالم الأحياء وعالم النفس وعالم المجتمع..ولولا ذلك هل كان بأستطاعة هؤلاء أخذ طفل من أمه بعد ولادته أو خلال الاشهر الاولى من عمره مثلا وتركه يعيش مع الحيوانات داخل الغابة مدة (١٢) عاما..؟

الغصون إذا قومتها...(*)

لقد هيأ الاستاذ (ايتار) خطة لتعليم (فكتور) تحتوي على خمسة أهداف:

١ – أن يجعل الولد يلتذ بالحياة الاجتماعية مع المحافظة على أوجه الشبه مع حياته الأولى.

٢ – تحريك جهازه العصبي باثارة طاقاته وعاطفته..

٣ – توسيع مجال أفكاره باعطائه احتياجات جديدة أو خلقها عن طريق الاتصالات الاجتماعية..

٤ – خلق مناسبات تضطره لأن يتكلم بطريقة التقليد..

٥ – جعله يمارس أبسط العمليات الذهنية..[٦]

أول مشكلة واجهها (ايتار) هي أن هذا الولد (فكتور) لاتعمل حواسه بالطريقة التي نتصورها..لقد طرأ شيء ما على تلك الحواس..فهو لايعرف نوع الطعام الذي يفضله بواسطة (العين) بل يميزه (بالشم)..[٧] وهذه طريقة الكثير من الحيوانات..أما نحن البشر فنعتمد كثيرا على النظر..وما أشهر المثل الدارج: «العين تاكل».

(*) من قول الشاعر:

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت

ولاتلين اذا كانت من الخشب

(6) Lane, Harlan (The Wild Boy of Aveyron) **London - 1977 , P.99**

(7) (Ibid) P.101

حاسة السمع ليس فيها خلل ولكنها محدودة الاحساس لأن (فكتور) لايسمع غير الأصوات التي تهمه والتي لها اتصال مباشر بأموره الحياتية القليلة والمحدودة العدد.

أليست هذه صفة الجاهلين..أو الذين يتصفون بالأفق الفكري الضيق؟..

لهذا السبب لو كان (فكتور) من أبناء عصرنا هذا - المزدحم بوسائط النقل المختلفة - فانه لن يلتفت الى أصوات منبه السيارات ولكان يقتل في مكانه، كما يقتل (الحمار) الذي يقف في المناطق الريفية، وسط الطرق الخارجية، لايبالي بما حوله، وبالأصوات التي توجه نحوه لتنبيهه من كل جانب واتجاه..

وربما هذا هو الذي حدا ببعض الكتاب والروائيين لأن يعتبروا (الحمار) فيلسوفا!..[٨]

فالتركيز السمعي لدى (فكتور) على الأمور التي تهمه..وهكذا نجد الطفل في سنواته الأولى، حين يركزُ على اللعبة التي بين يديه لايسمع صوت من يناديه..

أما أجهزة النطق (والكلام) فكانت عاطلة ..وقد بلغ حوالي الرابعة عشر من العمر (بعد حوالي عامين من التدريب) ولم يستخرج من فمه صوتا مفهوما ماعدا أنه كان معجبا بالصوت(ووو..).

وليس هذا بالأمر العجيب، حينما نلاحظ مايحصل للناس إذا لم يتمرنوا على استخراج بعض الأصوات اللغوية..أفلا يعجز أبناء بعض الشعوب المتقدمة عن نطق صوت الحاء (ح)..؟ كما يعجز بعضهم في مكان اخر عن تلفظ القاف (ق) أو الخاء (خ) أو العين والغين (ع..غ)..وهكذا انفردت العربية بصوت الضاد حتى سميت (لغة الضاد)..

طبعا هذا لايدل على وجود عطب في حناجر اولئك الناس (أو بلاعيمهم) قدر مايدل على عدم وجود هذه الاصوات في لغاتهم (والتي لم يتمرنوا عليها منذ طفولتهم المبكرة)..

السبب اذن هو عدم تمرين أجهزتهم الصوتية على استخراج تلك الاصوات في الفترة الأولى من حياتهم..

---

(٨) انظر : توفيق الحكيم (حمار الحكيم) أو (حماري قال لي) القاهرة.

وهذه النقطة هي الحجة التي يتمسك بها بعض الداعين الى تعليم اللغات الأجنبية في المراحل الأولى من الدراسة..

قال (ايتار) – الذي كان يعلم ولد الغابات: «ان الانعدام الكامل لتمرين أجهزتنا الصوتية (خصوصا في الزمن المبكر من العمر) يجعلها لاتصلح للقيام بوظائفها..»(٩)

التبلور الاجتماعي

حين كان الولد (المتوحش) يجلس مع معلمه الى مائدة الطعام، يتوجه بلغته في الحركات والاشارات الى مسؤولة المائدة، بأن يضع ماعونه جنب صحن الأكل الذي يريد منه..فان لم تلتفت الى طلبه، يأخذ الشوكه (أو الملعقة) فيضرب بها الصحن مرتين أو ثلاث مرات..فان لم تلتفت الى طلبه ايضاً، فأذ ذاك لايعرف حدوداً في طريقة الطلب..فربما يغرس يده في الطعام الذي يشتهيه، أو يفرغه في ماعونه..(١٠)

انه لايعرف الحدود في الصراحة..ولايعرف السكون من أجل المجاملة والأدب..

وقد اتضح للاستاذ (ايتار) أن الأمور التي كانت تعتبر من مميزات الانسان التي ترفعه على بقية الحيوانات بـ (الفطرة)، لم تكن الا من فعل التدريب المدني (أو البيئة)..(١١)

---

(9) Quoted by : Lane (Op. cit) P.112

(10) (Ibid) P. 155

(11) (Ibid) P. 129 .. Quoting Itard.

بعد اعتراف (ايتار) بفشله في تعليم (ابن الغابة) الكلام أو السلوك مثل البشر، يقدم لنا بعض الاستنتاجات، منها:

سواء كان الانسان متوحشا أم متمدنا، فان لديه ارتباطا وثيقا بين أفكاره واحتياجاته..وكلما زادت الاحتياجات ازداد الذهن الانساني نموا..

وعلى عكس ذلك، إذا وقفت بعض الاسباب حاجزا يقضي على رغباتنا – سواء كانت تلك الاسباب محلية أم في العلاقات الخارجية، أم من الأمور التي تحدث بصورة عفوية (قضاء وقدرا) فانها تسهم في تضييق أفق معرفتنا في المجالات العلمية وفي الفنون الجميلة، وفي الأمور الصناعية، والاجتماعية..

ان النقاط التي فشل فيها الاستاذ (ايتار) تتلخص في صعوبة جعل الاجهزة الفكرية للولد (فكتور) تعمل بصورة تامة، بعد أن اهملت مدة طويلة من الزمن..فالأمور التي يتعلمها الطفل من أبويه (في بيت متمدن) لايتعلمها الطفل (المتوحش) الا بطرق متعبة وشاقة..[١٢]

وبعد كل تلك الجهود التي لم تثمر ماكان المؤمل منها، فقد أودع الولد الى مربية خاصة به (اسمها جوران) ليقضي بقية حياته من غير أن يتعلم الكلام (أو النطق)..وقد خصصت الحكومة الفرنسية لتلك المربية (١٥٠) فرنكا في السنة مقابل اتعابها..

لم يمتد عمره طويلا..وقد قضى حياته القصيرة وهو نصف متوحش..ثم توفي في عقد الأربعينات من عمره..

(12) (Ibid) P.159

نقاط تستحق المناقشة

١ – هل الوراثة هي التي جعلت هذا الولد متخلفا..؟

أكبر الظن ان أمه لو كانت بهذه الدرجة من التخلف، لما أقامت أي وزن للمجتمع وتقاليده، ولما خافت من الاحتفاظ به لأن (غريزتها) تكون في هذه الحال أقوى من (عقلها).

ثم أن أمره قد شاع على مستوى الطبقة الحاكمة والمتنفذة وعلى المستويات التربوية والشعبية..فلو كان هناك أي شبه بينه وبين أية امرأة متخلفة (أو رجل متخلف) لأنكشف الأمر..

٢ – ان الثلاثين سنة التي قضاها بين البشر (المتحضرين) لم تستطع أن تزيل آثار الـ (١٢) سنة الاولى من حياته.. فاذا كانت هذه السنوات (الاولى) قد أحدثت كل هذا التخلف فان القول الشائع عن ان الزمن كفيل بتعليم الانسان يصبح غير دقيق في معناه..

٣ – نظرا لخطورة السنوات الاولى من عمر الطفل وتأثيرها على مستقبل حياته وعلى مستوى ذكائه، أفلا يتحتم على الجهاز التعليمي أن يقلب مفاهيم التعليم ويجعل حملة الشهادات العالية من دكاترة ومختصين يتعينون في رياض الاطفال والمرحلة الابتدائية..؟.

٤ – إذا كانت حجة الرافضين لهذه الفكرة ان المختصين وذوي الدراسات العليا بحاجة الى الطالب الناضج الذي يتفهم مايقولون فهذه اذن ضربة تقصم الظهر..! ان الطالب أو الطفل هو الذي بحاجة الى المختصين البارعين الذين يتفهمونه..

على أي حال، فالعبرة التي يمكن أن نحصل عليها من قصة هذا الولد المتوحش (ابن الحيوانات) ان الانسان لايمكن أن يكون انسانا بكامل قواه العقلية الا إذا حصل على الرعاية البشرية في الوقت المبكر من حياته..وقد أيد كثير من الباحثين هذا.. كما قلص بعضهم هذه الفترة الخطيرة فجعلها أربع سنوات بعد الولادة..ومن بين هؤلاء الاستاذ المعروف (بياجيه)[١٣]

---

(13) Ginsburg & Opper (Piaget's Theory of Intellectual Development) N.J. - 1969, Passim.

ان هذه الفترة – كما ظهر بوضوح من حياة (ابن الغابة) – انما تعتبر خطرة على تكوين عقل الانسان وذكائه، لأن خلالها تحصل حواس الانسان على التمرين اللازم للتحرك والعمل بصورة نشطة وفعالة..ومن خلال هذا يستلم الانسان المعلومات سواء كانت هذه صوتية مسموعة أم بصرية منظورة، أم غير ذلك، ومن كثرة المعلومات يكون الانسان واسعاً للاختيار والمزج.. وبذلك يكون الانسان أذكى في ارائه وتصرفاته..

هذا يعني تحقيق الذكاء بموجب التعريف الحديث الذي استند اليه مؤخرا (ألن ونادين كوفمان)..التعريف القائل بأن الذكاء: هو قدرة الانسان على تحليل المعلومات ومزجها ثم حل المشاكل في ضوء ذلك المزج..[١٤].

---

(١٤) أنظر نظرية الباحثين (كوفمان) في الفصل التاسع..

الفصل الحادي عشر

الذكاء والمعلومات

مفترق الطرق

الذكاء والكهرباء

القصة الفرنسية

الذكاء والمعلومات

من الالعاب الشعبية الشائعة في بعض البلدان الأوربية والأمريكية لعبة الـ (٢٠ سؤال).. وهي مثال ظريف عن المعلومات وكيف يستفيد منها الذكاء

تطرح على المشاركين في اللعبة مسألة مجهولة الاسم، لايعرف عنها في بادىء الأمر سوى أنها من بين الاصناف التالية :

(حيوان.. نبات.. معدن)، أو تتألف من صنفين منها، أو من ثلاثة مجتمعة.. فيبدأ المتبارون بالقاء الاسئلة التي يشترط فيها أن تكون من النوع الذي يمكن الاجابة عليه بـ (نعم) أو (لا).. على سبيل المثال : (والموضوع : حيوان)

-هل هذا الحيوان الذي تتضمنه المسألة من النوع الذي يمشي على الأربع..؟ ..(لا).

-هل يبيض..؟ ..(لا)

-هل الحيوان الذي تتكلم عنه من نوع البشر..؟ ..(لا)

وهكذا تجري الاسئلة.. ومن حق المتبارين أن يطرحوا الى حد العشرين سؤالاً..

يرى القارىء أن هذه هي لعبة ذكاء حقاً.. فنوعية الاسئلة التي توجه هي التي تلقي الضوء على المسألة.. فهي اما تجعلنا نتخبط بسبب كثرتها وتضارب أفكارها، واما تأخذنا في الطريق المختصر للوصول الى (المسألة) المطلوبة.

في الأسئلة الثلاثة التي مر ذكرها، استنتجنا من السؤال الأول : انه مادام الحيوان لايمشي على الأربع، اذن فهو يمشي على ساقين.. وهذا الاستنتاج المتسرع هو الذي جعلنا نسأل عما اذا كان الحيوان يبيض.. ثم لما ظهر انه لايبيض تصورنا انه انسان.

أفلا كان باستطاعتنا اختصار السؤالين الأخيرين بسؤال واحد؟ فنقول مثلاً :

- هل يمشي على ساقين؟ فان كان الجواب (لا) إذ ذاك نكون قد استبعدنا كلاً من الانسان والطير..

هذا من جانب نوعية الأسئلة ؛ أما من جانب المعلومات التي ستتوفر لدى المتبارين حينما يصلون الى السؤال رقم (١٥) أو مابعده، فحينذاك يؤدي الذكاء عمله على نطاق أوسع.. فالذكي يقارن بين المعلومات التي لديه ويستغلها وسيلة توصله الى المجهول..

كل هذا يعني ان المتباري يستنتج في ضوء خبراته (أو معلوماته) في الأحياء، والنبات، والكيمياء، والفيزياء، بل من خلال جميع العلوم الانسانية..

الواقع ان العملية كلها صورة مصغرة لما يجري في الذهن من تجميع للمعلومات، ومقارنة فيما بينها.. انها نوع مما يجري قبل الوصول الى السلوك الذكي –كنتيجة – .. اضافة الى ذلك، فان عملية انتقاء الاسئلة هي نوع من السلوك أيضاً..

مفترق الطرق

يظهر من هذه اللعبة المارة الذكر، ان المتبارين قد يشاركون في القاء الاسئلة، أو ربما بعضهم يبقى مستمعا فقط ليستفيد من الاجابات التي تعطى عن اسئلة غيرهم.. فهل في النهاية يتوصلون الى نفس النتيجة..؟

ان الاختلاف في السلوك بين انسان وآخر يعتمد ليس فقط على –(ا)– كمية المعلومات، –(ب)– نوعيتها؛ انما هناك المعلومات (المخزونة في الذهن وليست بجديدة) تلك تسمى (الذكريات) لدى الانسان قبل اللعبة..

فهذه هي التي توحي له بما يليق من استجابة، بل تدفعه اليها. وبذلك تقوم بعمل الدوافع..

يبدو ان المعلومات القديمة (الذكريات) تتفاعل مع المعلومات الجديدة (الاسئلة واجاباتها)، ومن مزج هذين النوعين من المعلومات تحدث الشرارة الفكرية فتتولد عنها (فكرة) جديدة..

هذه الفكرة تأتي على البال على شكل استنتاج. أو جواب لسؤال. أو حركة الى الامام أو الخلف. أو أي نوع من أنواع مايسميها علماء النفس بـ (الاستجابة) سواء كانت استجابة كلامية أو غير كلامية..

لنتصور مثلا أحد الجهال الذين لايعرفون الكثير من الامور أي ان معلوماتهم قليلة.. مثلا: الطفل في أوائل عمره لايختزن الكثير من المعلومات فهو جاهل.. ولو سئل عن شيء فانه ربما يلتفت الى أبيه (أو أمه) لتساعده في كيفية الاجابة..

كانت احدى المذيعات تجري حوارا مع الفنانة الكبيرة (أمينة رزق).. وأثناء ذلك سألتها عن عمر الفنان المعروف «عبد الحليم حافظ» حين وفاته. ولما اجابت الفنانة انه كان في ريعان شبابه، علقت المذيعة على ذلك قائلة:

«مع الأسف، ودّع الحياة وهو جاهل!»..

فاستدركت الفنانة بقولها: «لا، أبداً.. هو ليس بجاهل.. فقد أكمل دراسته في معهد (كذا).. واخذ شهادة (كذا)..»

فالتعبير الشعبي اعتبر الجهل من صفات الطفولة والصبا واصبحت كلمة (جاهل) تعني صغير السن....**والفكرة نفسها موجودة في التعبير الشعبي المصري**...[1].. المشكلة هنا لم تكن قلة المعلومات، وانما هي مشكلة الاختلاف في معاني الكلمات والمصطلحات..

الذكاء والكهرباء

لابد من الاشارة هنا الى ان الذكاء لايعني الكمال في السلوك (أو الأخلاق الحسنة- كما يقولون).. اذ ان الذكي- كأي انسان- انما يعكس لون الوعاء الذي هو فيه.. اي يتصرف حسبما تملي عليه ظروفه (بيئته ومجتمعه)..

لكن المقصود هنا هو أن الذكي ربما يكون نافعا، وربما يكون مضرا.. تقريبا مثل الكهرباء التي تملأ الدنيا بمنافعها، ولكنها الى جانب ذلك ربما تصبح وبالا، وتسبب الكوارث والأهوال، فتحرق ماحولها ومن حولها.. والذكي بعد ذلك كالفنان الذي ربما يكون مؤذيا لنفسه ولغيره إذا لم يجد متنفساً للطاقة الفنية التي يمتلكها..[2]

---

(١) - يقول (عباس محمود العقاد) في كتابه (بين الكتب والناس): (ويقولون: «حدث ذلك في ايام جهلي» بضم الجيم...وفي «اسوان» كلمة الجهل مرادفة لكلمة الشباب..)ص ص ٥٣٤ و٥٣٦

(٢) انظر: ع م. ب (الانسجام - في النفس والمجتمع) فصل: الانفعال.

الخوف من الذكي أن يكتشف أنه صار غريبا بين المحيطين به والعاملين معه.. وكأنه شاذ (أو نشاز) بين مجموعة تتصف بالاهمال والتسويف، والتأخير وعرقلة العمل..

ذكاؤه طبعا يجعله يكتشف هذه الحقيقة المرة.. وسيدله ذكاؤه أيضا الى قلة المساندين له والمؤيدين لرأيه.. فلئن لم يحصل على التربية اللازمة التي تجعله يؤمن بما يفعل، ويتصلب برأيه الصحيح، فانه لن يضحي في سبيل ذلك، ولن يقاوم المغريات الحياتية..

والذكي اذا افتقد الايمان بما يعتقد، كان أكثر تهديما للمجتمع من الجاهل.

وعلى عكس ذلك، اذا كثر الاذكياء أصبحوا أفضل بيئة يتقن فيها الذكي دوره.. لكأن المجتمع الذكي يصبح أفضل بحر يسبح فيه أصحاب الذكاء..

فيأخذون حريتهم كيفما تحركوا وحيثما توجهوا..

المصادر العربية والاجنبية

بعض المصادر العربية

(أ)

١ **إبن الجوزي**، ابو الفرج (كتاب الاذكياء)/ذخائر التراث العربي
ط٣ بيروت ١٩٧٩/دار الافاق الجديدة

٢ **ابن خلدون**، عبد الرحمن (مقدمة)... ط دار احياء التراث العربي/
بيروت... ط دار العودة/ بيروت- ١٩٨١

٣ **ابن طفيل**، ابو بكر محمد (حي بن يقظان) تحقيق: فاروق سعد ط٢
دار آفاق جديدة، بيروت- ١٩٧٨

٤ **ابن عبد ربه**،(العقد الفريد) تحقيق: محمد سعيد العريان
مطبعة الاستقامة، القاهرة- ١٩٤٠

٥ **ابن المقفع**، عبد الله(كليلة ودمنة)
ط١٦ المطبعة الاميرية، بولاق/القاهرة-١٩٣٥

٦ **أبو الحب**، ضياء الدين وزميله (اختبار القدرة العقلية العامة
ط٢/١٩٧٠)

٧ **(الأنباء) الكويتية**،العدد ١٩٨٤/١١/٢٥ (جريدة يومية)

٨ **الأهواني**،د. أحمد فؤاد/ في (تراث الانسانية)م١

٩ **ايفانز**،برجن،(لم العقل؟) ترجمة: د. موفق الحمداني، ومريم شرارة
بيروت- ١٩٦٦.

(ب)

١٠ **برجسون، هنري** «التطور الخالق)/ في(تراث الانسانية) م٢
مصر- القاهرة

(ت)
١١ **(تراث الانسانية)**، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
القاهرة– مصر ١٩٦٤
١٢ **(التراث الشعبي)** مجلة/المركز الفلكلوري– وزارة الثقافة والاعلام
ع ٦٠٥/ بغداد–١٩٨٤
١٣ **التوحيدي**، ابو حيان (الامتاع والمؤآنسة) ضبط وشرح: أحمد أمين
وأحمد الزين/ منشورات مكتبة الحياة/ بيروت– لبنان
(ث)
١٤ **(الثورة) البغدادية** /عدد: ١٩٨٣/٨/٣
– جريدة يومية – العدد: ١٩٨٣/٣/١٤/و ١٩٨٤/١١/٢٦
(ج)
١٥ **الجاحظ**، عمرو بن بحر (كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان)
(١٥٠–٢٥٥هـ)
تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ منشورات وزارة الثقافة والاعلام
العراق– بغداد ١٩٨٢
١٦ **الحافظ**، **نوري** (المراهقة)– **مخطوط**– بغداد– العراق
١٧ **الحكيم**، **توفيق** (حمار الحكيم) سلسلة اقرأ
مطبعة المعارف. مصر القاهرة

(د)
١٨ **الدميري**، كمال الدين محمد (حياة الحيوان الكبرى)
دار التحرير/ القاهرة– ١٩٦٥–٦٦
١٩ **دي بوفوار**، سيمون (الجنس الاخر) ترجمة لجنة من اساتذة الجامعة
منشورات المكتبة الأهلية/بيروت– لبنان
٢٠ **ديوان حافظ** (الاجتماعيات) للشاعر حافظ ابراهيم
دار العودة/بيروت– لبنان

٢١ **ديورانت**، ول (قصة الفلسفة) ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع، ط٤/ مكتبة المعارف/ بيروت ١٩٧٩.

(ز)

٢٢ **زكريا ابراهيم. د.** (مشكلة الحياة) من سلسلة (مشكلات فلسفية) دار مصر للطباعة - القاهرة

(س)

٢٣ **سيد مرعي**، (لكي نربح المستقبل)- المشروع العربي للتنمية مطابع دار المعارف بمصر - ١٩٧٥

(ص)

٢٤ **صلاح حافظ** (التاريخ الجنسي للانسان.. من الكهف...) الكتاب الذهبي-١٩٧١

(ع)

٢٥ **عباس مهدي**/في مجلة (النفط والتنمية) دار الثورة للصحافة والنشر-بغداد، ع/شباط ١٩٨٤

٢٦ **عطوف محمود ياسين، د.** (اختبارات الذكاء والقدرات العقلية- بين التطرف والاعتدال) دار الاندلس، ط١، بيروت- لبنان ١٩٨١.

٢٧ **ع.م.ب** (الانسجام- في النفس والمجتمع) مطبعة عصام، بغداد-١٩٨٠

٢٨ **ع.م.ب** (العقدة النفسية- والشعور بالنقص) مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٧٨

٢٩ **ع.م.ب** (الشخصية.. بين النجاح والفشل) ط٢ (جزءان) نشر وتوزيع مكتبة النهضة العربية، بغداد-١٩٨٥

(غ)

٣٠ **الغزالي. ابو حامد** (احياء علوم الدين) دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت - لبنان

(ف)

٢١ فاخر عاقل (معجم علم النفس)
دار العلم للملايين/ لبنان– بيروت ١٩٧١

(ق)

٢٢ القزويني،زكريا بن محمد بن محمود (عجائب المخلوقات– وغرائب الموجودات)
دار التحرير للطبع والنشر/ القاهرة

٢٣ (قصص العرب).جمع وتأليف: محمد احمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم
دار احياء التراث العربي/ بيروت– لبنان

(م)

٢٤ متز، آدم (الحضارة الاسلامية). ترجمة : محمد عبد الهادي: ابو ريدة، ط٤
دار الكتاب العربي، بيروت–١٩٦٧

٢٥ مجلة (حياتك) المجلد الثالث، العدد ١٣. القاهرة– ١٩٥٨

٢٦ مجلة (النفط والتنمية)/ دار الثورة للصحافة والنشر/ بغداد– العراق كانون الثاني– شباط ١٩٨٤

٢٧ المسعودي، ابو الحسن (مروج الذهب ومعادن الجوهر) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر. ط٥. القاهرة – ١٩٦٧

٢٨ المصمودي، د.مصطفى (النظام الاعلامي الجديد) سلسلة عالم المعرفة الكويت– اكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٥

٢٩ (المعجم القانوني)/المكتبة المركزية. جامعة بغداد.

٤٠ (المنتخب من أشعار العرب) جمع : سليمان فيضي الموصلي
طبعة البصرة–١٣٤٥هـ

٤١ الميداني، ابو الفضل احمد (مجمع الامثال) مختارات: تحقيق محمد على قاسم– بيروت – ١٩٧٣.

٤٢ **ميد، مارغريت** (الثقافة والالتزام)
ترجمة: خير الدين عبد الصمد/ دمشق- ١٩٧٦.

(هـ)

٤٢ **الهلالي**،د. صادق (فسلجة الجهاز العصبي) ط١
مطبعة الاديب البغدادية/ بغداد ١٩٧٢.

(و)

٤٤ **الوردي،** د.علي (الاحلام بين العلم والعقيدة) مطبعة الرابطة بغداد-
١٩٥٩

٤٥ الوردي، د.علي (مهزلة العقل البشري) بغداد-١٩٥٥.

94 - Stenhouse . David (The Evolution of Intelligence) George Allen & Unwin Ltd. London , 1974.

T

95 - Toynbee, Arnold, (Surviving the Future) Oxford U. Press, 1971.

96 - Tulchin, S. H., (Intelligence & Crime) Chicago Press , 1969

U

97 - (UN. Development forum) N.Y., September 1984

V

98- Vroon , Pieter (Intelligence) University of Leiden . 1980

W

99- Webster 's = Dictionaries

100- Weitzenhoffer (Hypnotism) N.Y. 1953

101- Westcott, Malcolm R. (Toward a Contemperary Psychology of Intuition) Holt , Rinehart & Winston Inc . N.Y. 1968

102- Wrench, David E. (Psychology - a Social Approach) Mc Graw - Hill Hook Co. 1969.

O

83- Oliverio ed, . (Genetics, Environment & Intelligence) The Netherlands, 1977.

P

84- Peterson, Rodney (The Philosophy of A Peasant) Inter - Action Books , U.S.A., 1979

85- Philipe, George & Son (the world Atlas)

86- Premack , David (Intelligence in Ape & Man) New Jersey , 1976

87- Pyle, David W. (Intelligence - an Introduction) Routledge & Kegan Paul, London , 1979.

R

88 - (Reader's Digest) - Magazine

89- Riesman, et al (Mental Health of the Poor) N.Y. 1964.

90- Rubin & McNeil (Psychology of Being Human) N.Y.1979

91- Russell, Bertrand (In Praise of Idleness) . George Allen & Unwin Ltd, 5th Impression, London , 1958.

S

92- Schultz, Duane (Psychology in Use) Mac Millan Publishing CO., N.Y., 1979

93- Shaffer, L & Co - authors (Psychology) Harper & Brothers, N.Y. 1940.

74. Magazines:

(Economist, the) London 10 Sep. 1983, 21 Nov. 1981.

(National Geographic) Washington D.C. April 1980, June 1980

Psychology Today U.S.A. ,1979

(Reader's Digest, the) U.S.A. 1960 Feb. 1968 , Nov. 1970

75- Mead , George (Philosophy of the Act) (Mind , self & Society) U. of Chicago, 11th Imp. , 1959

76- Mead, Margaret (Male & Female) 3rd. Printing, Wm. Morrow & Co . N.Y. - 1950 .

77- Meorhouse, A.C. (Writing & the Alphabet) London, 1946.

78- Mill, John Stewart (The Subjection of Women) 10 th Printing, Oxford U. Press , London - 1947 (On liberty - 1946)

79- Mills C. Wright (Sociological Imagination) G.B. 1973.

80- Mowbray & Rodger (Psychology in Relation to Medicine) 4th ed , London , 1978.

81- Munn, Norman L. (Psychology - The Fundamentals of Human Adjustment) U.S.A. 1946.

N

82- (National Geographic Magazine)
National Geographic Society, Washington D.C.
Vol. 157, April - 1980, and June - 1980

63- Hepner, H.W. (Psychology Applied to life & Work) Prentice = Hall Inc. 17th Printing, N.Y. 1949

64- Herald Tribune, International) London , April 8, 1980

65- Higgins, Ronald (The Seventh Enemy) McGraw - Hill, U.S.A - 1978

J

66- Janisse, Michel Pierre (Pupilometry Washington) D.c.

67- Jensen , Arthur R. (Educatability & Group Differences) Methuen , London - 1973

K

68- Kaufman, Alan & Nadeen (K = Assessment Battery). (Counterpoint) Virginia ,U.S.A. Nov. 1982

L

69- Lane, Harlan (The Wild Boy of Aveyron) George Allen & Unwin , London - 1977

70- Lucas, Eric (What is Greatness?) Oxford U. Press- 1967

71- Lugo, James O. & Hershy, G. (Living Psychology) 3rd ed. Mac-Millan , U.S.A. - 1981

M

72- Machado Luis Alberto (The Right to Be Intelligent) Translated by :

73- Mark Wheeler, Pergamon Press - 1980

53- Dudley, Louise & A.faricy (Humanities - Applied Aesthetics) McGraw - Hill, 9 th. Impression, N.Y. 1940

E

54- Economist, the = Magazines

55- Eysenck, H.J. (Uses & Abuses of Psychology) 14th Printing, England - 1971

F

56- Freeman, Wm. (Writing for Pleasure & Profit) London - 1959

G

57- Garan, D.G (The Key to the Seiences of Man) Philosophical Library Inc, N.Y. - 1975

58- Ginsburg, H.& Opper, S (Piaget's Theory of Intellectual Development) Prentice = Hall, N.J. - 1969

59- Gorlow, & Katkovsky ed. (Readings in the Psychology of Adjustment) U.S.A.= 1959

60- (Guardian, the) News-paper Oct. 7, 1984.

H

61- Hendricks, Gay (How to Love Every Minute of Your life) Prentice Hall, N.J, 1978.

62- Henman - Nelson Test of Mentality

\

References in Enghish

A

46- Allport, G.W. (Personality - A Psychological Interpretation) 8th Ed., Constable & Co., London - 1962

B

47- Buss, & poley (Individual Differences ' Traits & Factors) N.Y., 1976

C

48- (Chaplin's Dictionary of Psychology) = Dictionaries

49- Chase, stewart (The Tyranny of Words) N.Y. 1966

50- Cunnigham Michael (Intelligenee Its Organization & Development) V. of Penn. U.S.A. - 1972

51- D Dictionaries

A Dictionary of Diplomacy & International Affairs.

American Heritage

Merriam Webster's New Collgiate.

of Psychological Expressions = Birut 1971

of Psychology, N.Y. 1973.

Winston's

52- Donceel, J.f. (Philosophical Psychology) 4th. Printing, Sheed & Ward, N.Y. - 1965

المحتويات

قال الدكتور (علي الوردي) في هذه السلسلة من كتب (الشخصية) :

...اني من حيث المبدأ أحبذ كل تأليف في مثل هذا الموضوع الذي كتب فيه الاخ (المؤلف) - أي موضوع النفس والمجتمع ..وأرى من الجدير بالقراء، أن يقرأوا هذا الكتاب وأمثاله ..فقد آن الاوان لكي ندرس الدنيا وانفسنا من خلال ما جاءت به العلوم الحديثة...

علي الوردي
١٩٧٢/١٠/٢٤

صدر للمؤلف

١٠-الشخصية - بين النجاح والفشل / الجزء الاول ١٩٧٣
٢٠-الشخصية - بين النجاح والفشل / الجزء الثاني ١٩٧٦
(الجزءان (طبعة ثانية) ١٩٨٥
٣٠-العقدة النفسية - والشعور بالنقص / ١٩٧٨
٤٠-الانسجام - في النفس والمجتمع / ١٩٨٠
٥٠-الذكاء والتفوق - في النفس والمجتمع / ١٩٨٧

السعر : ٣ دنانير